

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة غرداية



كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية

قسم العلوم الإنسانية

شعبة التاريخ

التطور المعماري لعواصم المغرب الأوسط تيهرت
و بجاية أنموذجا

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة الماستر في التاريخ

تخصص: تاريخ وحضارة المغرب الأوسط

إشراف الاستاذة:

إعداد الطالبتين :

د/ يمينة بن صغير حضري

بن قطاية وسيلة

لخداري فاطمة الزهراء

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
تيكياالين محمد	أستاذ محاضر أ	جامعة غرداية	رئيسا
بن صغير حضري يمينة	أستاذ محاضر أ	جامعة غرداية	مشرفا و مقررا
بوعروة بكير	أستاذ مساعد أ	جامعة غرداية	مناقشا

الموسم الجامعي : 1438-1439هـ / 2017-2018م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى: «مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا
اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا
بَدَّلُوا تَبْدِيلًا» (سورة الأحزاب الآية 23).

شكر وعرفان

نحمد المولى حمدا كاملا و نثني عليه ثناء تاما على كل نعمة

انعم لقوله تعالى: " وما بكم من نعمة فمن الله".

في البداية نتقدم بالشكر الجزيل للأستاذة "بن الصغير حضري يمينة" التي منحتنا من وقتها الثمين والتي كانت سندا لنا في كل مرحلة من مراحل بحثنا هذا ، وما قدمته لنا من نصائح وتوجيهات، فجزاها الله منا خير جزاء وأدامها للعلم ذخرا.

كما نشكر كل من ساعدونا في إنجاز هذا البحث ولو بكلمة.

كما نتقدم بجزيل الشكر و التقدير و الامتنان الكثير الى جميع اساتذة جامعة غرداية شعبة التاريخ و الى كل من ساعدانا في إتمام هذا البحث فجزاهم الله كل الخير.

كما نتقدم بالثناء العظيم إلى مسؤولي مكتبة الجامعة، وعمال متحف المجاهدين بمتليلي، ومكتبة الاخضر الدهمة .

و لا أنسى كل من ساهم معنا في إنجاز هذا البحث من بعيد أو من قريب ولو بكلمة فشكرا لكل هؤلاء.

الإهداء

باسم من خلق الكون وعظمه وخلق الانسان وكرمه اما بعد: لا يسعني الا ان اشكر من ذكر الرحمن اسمهما في القرآن الكريم و اوصى إليهما بالإحسان. أهدي ثمرة جهدي إلى الذين قال فيهما الله تعالى "وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا" إلى من أضاءت لنا درب الحياة بنور الأخلاق والتربية الفاضلة، وأهدت لنا زهرة شبابها، إلى من علمتنا أن العلم تواضع والعبادة إيمان والنجاح إرادة والحياة عمل، إلى صاحبة القلب العطوف والصدر الحنون، والتي كان دعاؤها سر نجاحي، إلى قرّة عيني وحبّيتي "أمي الغالية" أتمنى ان يطيل الله في عمرها. إلى صاحب القلب الكبير والصبر الطويل، إلى من تعب من أجل راحتي وسعادتي وغرس في داخلي مبادئ الأخلاق، إلى "أبي الغالي" اعزه الله و حفظه ورعاه، وأطال في عمره.

إلى من كانوا لي سنداً في هذه الحياة إخوتي الأعزاء "الحاج محمد" "لعلمي" "زكريا" والى براعم البيت (عائشة، عبد النور).

إلى خالاتي و اخوالي وعماتي و اعمامي من اكبرهم سنا الى صغيرهم، والى كل من يحمل لقب "بن قطاية".

إلى رفيقات دربي وحبّيات قلبي اللتان قضيت معهن أجمل اوقاتي (خديجة بوحميده، خديجة الكبرى، حنان، زينب، سمية، رزيقة، فتيحة، سلمى، زهرة، فاطمة، نسيمه، نسيبه، ليلي، انصاف، سهيله، عموره، والقائمة طويلة ...). وإلى كل الأصدقاء الذين رافقوني في مشواري الدراسي والى كل من ساعدني سواء من قريب أو بعيد .

إلى رفيقة دربي وزميلتي في البحث: "فاطمة"

* وسيلة بن قطاية *

الإهداء

أهدي ثمرة جهدي هذا إلى رمز السبيل والعطاء منبع الحنان والوفاء، إلى من تعلمت منها
الطيبة إلى التي جعل الله الجنة تحت أقدامها، إلى التي جعلت صدرها وسادة لي
وفؤادها راحة لي، * أمي الغالية * حفظها الله و أطال في عمرها.

كما أهدي هذا الجهد إلى الذي أنار دربي ورعاها، إلى أعز إلي من روحي وأقرب الناس إلى
قلبي إلى من رعاني وعلمني معنى الكفاح والصمود، * أبي الغالي * حفظه الله و أطال في عمره.
إلى الذين زرعوا الأمل ورسّموا الإبتسامة على وجهي أخي: *محمد علي * وأخواتي *نورة
جهينة*.

إلى جدتي الغالية أطال الله في عمرها وإلى خالاتي وخالي، عمتي وأعمامي.

إلى البراعم الصغار (أسماء، نسيمة، ربوحة، مهدي، نورين، عمر الفاروق، هبة، أروى). وإلى
كل عائلة لخذاري بغرداية والأغواط وعائلة سعدي كبيرا وصغيرا وجميع الأهل دون إستثناء .
إلى صديقتي وحبوبات قلبي (إيمان، نسيمة، نسبية، سمية، زينب، سلمى، تركية، خديجة
والقائمة طويلة....).

إلى كل دفعة تاريخ و حضارة المغرب الأوسط.

إلى * د. كواتي مسعود*، *الأستاذ* دحو الدين*، و كل الأساتذة الكرام الذين تعلمت منهم
أن قيمة العلم التواضع، إلى كل من عرفتهم و نستهم مذكرتي و لم تنساهم ذاكرتي.
إلى رفيقتي في العمل و أعز صديقة: * بن قطاية وسيلة*.

* لخذاري فاطمة الزهراء*

قائمة المختصرات

الكلمة	اختصارها
ترجمة	تر
تحقيق	تح
مجلد	مج
دون بلد النشر	د.ب.ن
دون سنة النشر	د.س.ن
دون دار النشر	د.د.ن
صفحات متتالية	ص - ص
Page continues	P - P
تقديم	تق

حَقِّقْ

عرف المغرب الإسلامي عموما و المغرب الأوسط خصوصا قيام العديد من المدن و المراكز الحضارية الكبرى، و التي تطورت و ازدهرت من فترة لأخرى، كما كان لها الأثر البارز في الاحتفاظ بمعالمها المعمارية و الأثرية في المغرب الأوسط، و من بين أهم تلك المدن العريقة مدينتي تيهرت الرستمية و بجاية الحمادية، بحيث أننا ألمنا بالدراسة كل جوانبهما من الناحية التاريخية و الجغرافية و الفكرية و خاصة الناحية المعمارية التي هي محور دراستنا.

و منه حاولنا تسليط الضوء على الجانب المعماري لكل من مدينتي تيهرت و بجاية في المغرب الأوسط، و عليه فقد جاء عنوان بحثنا موسوما ب:

التطور المعماري لعواصم المغرب الأوسط تيهرت و بجاية أنموذجا

أسباب إختيار الموضوع:

يعود اختيارنا لهذا الموضوع لعدة جوانب و أسباب، تتمحور حول دراسة تاريخ المدن التي نالت شهرة كبيرة في المغرب الأوسط والتي كانت من أهم الحواضر التي ميزته في تلك الفترة، فلفت انتباهنا مدينة تيهرت و بجاية، و سنحاول من خلال بحثنا هذا و الموسوم: التطور المعماري لعواصم المغرب الأوسط (تيهرت و بجاية أنموذجا) تسليط الضوء على الجانب المعماري لكل مدينة، مع التعرف على جوانب أخرى قامت على أساسها المدينتين نحو التطور و الازدهار.

إشكالية الموضوع:

و من خلال ما سبق يمكننا طرح الإشكالية التالية:

فيما تمثل الدور المعماري لمدينة تيهرت و بجاية في المغرب الأوسط؟

و تفرعت هذه الإشكالية لمجموعة من التساؤلات و هي كالتالي:

*كيف نشأت كل من مدينتي تيهرت و بجاية في المغرب الأوسط؟

*فيما تمثل الموقع الجغرافي للمدينتين؟

*فيما تمثلت المنجزات المعمارية للمدينتين؟ وكيف تطورت؟

*كيف كان واقع الأنشطة الاقتصادية في المدينتين؟

*ماهي المكانة العلمية التي حظيت بها مدينة تيهرت و بجاية؟

أهداف الدراسة:

هدفنا من هذه الدراسة هو التعرف على أهم التطورات المعمارية لكل من تيهرت و بجاية في المغرب الأوسط، كما ألمنا بكل الجوانب المختلفة منذ البداية و أن نبين كيف نشأت ثم كيف تطورت و ازدهرت.

المنهج المتبع:

يندرج هذا البحث تحت عنوان " التطور المعماري لعواصم المغرب الأوسط تيهرت و بجاية أنموذجا" في إطار دراسة تطور المدن في المجال التاريخي والأثري فشملت هذه الدراسة الجانب التاريخي و المعماري لمدينتي " تيهرت و بجاية "، أما فترة هذه الدراسة فهي فترة العصر الوسيط، كما اعتمدنا في دراستنا على إتباع "المنهج التاريخي الاستقرائي"، وقد قسمنا عملنا هذا إلى دراسة تاريخية تلتها دراسة معمارية كما استعملنا أيضا " المنهج التاريخي الوصفي" الذي وصفنا فيه المدينتين من حيث الموقع و الوصف من طرف الرحالة و الجغرافيين، واهم التنظيمات المعمارية التي امتازت بهما هاتين المدينتين من حيث المعلومات و الأحداث التاريخية الواردة في المصادر و المراجع للوصول إلى النتائج المرجوة التي تخدم جوانب الموضوع .

4- الدراسات السابقة:

على الرغم من الدراسات حول المدينتين تيهرت و بجاية فهي كثيرة و معظمها كتب تطرقت إلى الدولة الرستمية و الدولة الحمادية بصفة عامة مثل : كتاب إبراهيم بحاز الدولة الرستمية، وكذلك رايح بونار تاريخ المغرب العربي الكبير، و جودت عبد الكريم يوسف العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، وأيضا كتاب عبد الحليم عويس دولة بني حماد صفحات رائعة من التاريخ الجزائري، فهذه المراجع تعرضت إلى تأسيس المدينتين تيهرت و بجاية و أهم المنشآت المعمارية التي امتازت بها كل مدينة و كيفية تطورها. ومن بين الدراسات السابقة التي ساعدتنا كثيرا في بحثنا مايلي:

➤ **موقع تيهرت الأثري(160هـ/296م - 609/777م):** جلجال فاطمة، مذكرة تخرج لنيل شهادة ماجستير، تخصص علم آثار المغرب الإسلامي، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2014/2013.

➤ **بجاية دراسة تاريخية و حضارية بين القرنين السادس و السابع:** أمينة بوتشيش، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، تخصص تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2008/2007.

➤ **مدينة تيهرت الرستمية (106هـ/777م- 298هـ/909م):** هية الطيب، مذكرة لنيل شهادة الماستر، تخصص تاريخ بلاد المغرب الحضاري في العصر الوسيط، جامعة قسنطينة، 2013/2012.

➤ **قلعة بني حماد دراسة سياسة و عمرانية (389هـ/460م - 1007م/1067م):** بوتيتل رجة، مذكرة لنيل شهادة الماستر، تخصص تاريخ و حضارة المغرب الأوسط، جامعة غرداية، 2016/2015.

➤ بالإضافة إلى مجموعة من المجالات المتنوعة التي استفدنا منها كثيرا في إعداد هذا البحث.

صعوبات البحث:

من الصعوبات التي واجهتنا هو اتساع موضوع بحثنا في مجال العمارة و تطورها في كل من مدينتي تيهرت و بجاية في المغرب الأوسط، بالإضافة إلى اتساع الجانب السياسي و الحضاري للمدينتين فحاولنا من خلال ذلك اختصار الأهم منها.

التعريف بالمصادر و المراجع:

1- المصادر التاريخية:

➤ كتاب أخبار الأئمة الرستميين : لصاحبه ابن الصغير الذي عاش في القرن 3 هـ ، ويعتبر كتابه المصدر الأول و الوحيد لتاريخ الدولة الرستمية، كما انه يعتمد على الروايات الشفوية التي سمعها من الإباضية لكن معلوماته وردت بدون تاريخ في معظمها، فهذا الكاتب أفادنا كثيرا في دراستنا خصيصا عن مدينة تيهرت الرستمية من حيث تاريخها وجانبها المعماري .

➤ كتاب ديوان العبر و المبتدأ والخبر في تاريخ العرب و البربر و العجم و من عاصرهم كم السلطان الأكبر: لصاحبه عبد الرحمن ابن خلدون (808هـ /1408م)، والذي شرع في تأليفه أواخر عام (776هـ/1375م) بقلعة بني سلامة الذي دام أربع سنوات، فكانت ثمرة جهده و هو بصفة عامة الموسوعة العلمية التي يستطيع الباحث الاستغناء عنها للبحث في تاريخ المغرب و التاريخ الإسلامي، فكتابه هذا ساعدنا كثيرا في إنجاز بحثنا و خاصة منه الأجزاء السادس و السابع في تأكيد المعلومات التي استقيناه من المراجع، بالإضافة إلى شرح بعض المصطلحات و خاصة القبائل البربرية و العربية .

➤ كتاب البيان المغرب في تاريخ الأندلس و المغرب: لابن عذارى المراكشي (721هـ/1321م) والذي يعد بدوره مصدرا تاريخيا هاما في التاريخ الإسلامي من حيث الأهمية، وكذا هو استقيناه منه المعلومات و استفدنا منه كثيرا في معرفة تاريخ المدينتين تيهرت و بجاية.

➤ كتاب طبقات المشايخ في المغرب للدرجيني: وهو احمد بن سعيد بن سليمان بن يخلف الدرجيني وهو مؤرخ إباضي، عاش في القرن السابع هجري و الثالث عشر ميلادي (7هـ / 13م) و المتوفى حوالي (670هـ / 1272م) ويتألف هذا الكتاب من قسمين، القسم الأول مجرد إعادة نق و سبك كتاب السير و أخبار الأئمة لأبي زكريا، أما القسم الثاني فهو أكثر أهمية من الأول كونه العمل الأصلي للدرجيني و يشمل مجموعة سير حكماء وعلماء إباضيين، ولهذا اعتمدنا عليه وأفادنا كثيرا في معرفة الدولة الرستمية و واهم منشآتها.

2- المصادر الجغرافية:

➤ كتاب المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب: وهو جزء من كتاب المسالك و الممالك لأبي عبيد الله البكري (487هـ / 1094م)، ومنه القسم الخاص بوصف المغرب وقام بنشره ديسلان سنة 1911م، بحيث ذكر وصفا خاصا للمدينتين استخلصناه منه .

➤ كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق: لأبي عبد الله محمد الشريف الإدريسي (584هـ / 1154م) وفي جزئه الخاص بإفريقيا و الأندلس و الذي حققه إسماعيل العربي، ويعتبر هذا الكتاب من أمهات الموسوعات الوصفية في العهود الوسطى لما تضمنه من تعريفات ومصطلحات واشتمل أماكن وأعلام، وتعرض كذلك إلى تاريخ إنشاء المدن فاستفدنا كثيرا في وصف المدينتين .

➤ كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار: لمحمد بن عبد المنعم السبتي الحميري (أواخر القرن 9هـ / 15م) والذي قام بتحقيقه إحسان عباس ويعد من المصادر أو المعاجم الجغرافية، فاستنبطنا منه شرح بعض المصطلحات ووصف المدينتين.

➤ كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار: لكاتبه المجهول الذي عاش القرن (6هـ / 12م) وقام بتحقيقه سعد زغلول عبد الحميد فيعتبر بدوره أهم مادة تاريخية جغرافية، فكانت استفادتنا منه كبيرة في دراسة المجال الحضاري لبجاية الحمادية ووصف أهم مراكزها، فهو علاوة عن التعريف بمناطق العلم العربي الإسلامي .

➤ كتاب معجم البلدان: لليعقوبي (284هـ/ 897م)، وهو من أفسح المجال للمغرب الإسلامي بذكر مدن المغرب ووصفها كما ضمنها بعض المعلومات التاريخية الهامة، ويعتبر هذا المصدر من أهم المصادر لموسوعات البلدان، فكانت الفائدة منه هي اخذ المعلومات الكثيرة عن المدينتين تيهرت وبجاية و التعريف بهما .

3-المراجع:

➤ كتاب الدولة الرستمية دراسة في الأوضاع الاقتصادية و الحياة الفكرية(160هـ/296م - 777هـ/909م): لصاحبه إبراهيم بكير بحاز ويعد من المراجع الأكثر أهمية في تاريخ الدولة الرستمية، فاستقينا منه معلومات كثيرة عن مدينة تيهرت و بنائها.

➤ كتاب العلاقات الخارجية للدولة الرستمية: لجودت عبد الكريم يوسف وهو كذلك من بين المراجع التي لها تحدثت عن الدولة الرستمية، فاستفدنا منه في بناء المدينة و تاريخ نشأتها .

➤ الدولة الحمادية تاريخها و حضارتها: لرشيد بورويبة ويعتبر هذا الكتاب أول دراسة مركزة و دقيقة للدولة الحمادية، هو من بين المراجع الهامة التي يعتمد عليها كثيرا في تاريخ بن حماد وذلك راجع إلى ما يحتويه في طيات كتابه عنها، فأفادنا كثيرا عن مدينة بجاية ووصفها واهم المنشآت المعمارية التي شملتها.

➤ كتاب دولة بني حماد: لعبد الحليم عويس وهو كذلك من بين المراجع التي تحدثت عن الدولة الحمادية، فهو ساعدنا على معرفة الجوانب الحضارية لمدينة بجاية الحمادية.

5- خطة البحث:

من خلال المعلومات التي توفرت لدينا من المصادر و المراجع تمكنا من وضع خطة لبحثنا، و التي كانت مكونة من مقدمة و أربعة فصول و خاتمة.

➤ **المقدمة :** تناولنا فيها تمهيدا لمدينة تيهرت وبجاية بصفة عامة كما تطرقنا إلى طرح الإشكال و الصعوبات التي واجهتنا و ذكر المنهج المعتمد، و كذا التعريف بالمصادر و المراجع كما ذكرنا أيضا الدراسات السابقة و ذكر خطة بحثنا.

➤ **الفصل التمهيدي:** تحت عنوان دراسة تاريخية و جغرافية لكل من مدينة تيهرت و بجاية.

➤ **الفصل الأول:** المعنون ب: دراسة معمارية لمدينة تيهرت و تحدثنا فيه عن بناء المدينة، و أصل تسميتها وكذا وصفها من طرف الرحالة و الجغرافيين، ثم تطرقنا إلى منشآت المعمارية التي تمثلت في منشآت عسكرية ومدنية ودينية، و كما أضفنا الجانب الزخرفي الذي تميزت به المدينة في منشآت المعمارية، وفي الأخير ختمنا الفصل بملخص صغيرة عنه.

➤ **الفصل الثاني:** و الذي كان هو الآخر تحت عنوان دراسة معمارية لمدينة بجاية و تحدثنا فيه كذلك عن بناء مدينة بجاية وكذا أصل تسميتها، وتناولنا فيها المنشآت المعمارية المتمثلة في المعالم العسكرية و الدينية و المدنية، ضف إلى الجانب الزخرفي الذي ميز تلك المنشآت، متبوعا بملخص توضيح ما جاء في الفصل.

➤ **الفصل الثالث:** وتناولنا فيه الدور الحضاري و المعماري لمدينتي تيهرت و بجاية ، و ذلك من خلال التعرف على الجانب السياسي و كذا الأنشطة الاقتصادية من زراعة، رعي، صناعة و تجارة، ضف إلى التنظيم المالي و المعماري للمدينتين في المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط.

الفصل التمهيدي :

لمحة جغرافية و تاريخية لتيهـرت و بجاية.

المبحث الاول : جغرافية و تاريخ مدينة تيهـرت.

1- جغرافية مدينة تيهـرت

2- تاريخ مدينة تيهـرت.

المبحث الثاني : جغرافية و تاريخ مدينة بجاية.

1- جغرافية مدينة بجاية

2- تاريخ مدينة بجاية.

الجانب الجغرافي و التاريخي لمدينة تيهت و بجاية:

تعتبر مدينتي تيهت و بجاية من بين المدن التاريخية في المغرب الأوسط اللتان كانت لهما حضور متميز و تأثير بارز، جعلهما تملكان ماضيا تاريخيا هاما في مختلف الجوانب، و هذا راجع إلى نشأة و بناء كل مدينة و كيفية تطورها عبر التاريخ.

فمدينة تيهت هي أول دولة مستقلة بالمغرب الأوسط، أنشأت من طرف مؤسسها عبد الرحمن بن رستم، بعد مبايعة الاباضيين له بالإمامة سنة (160هـ/777م)، وشهدت هذه الدولة العريقة أحداثا مهمة طيلة فترة حكمها، كما عرفت بدولة التسامح و حسن الجوار، ضف إلى ذلك بروز العلماء و تطور الجانب الثقافي و الفكري ، و الجانب المعماري المنتظم في تلك الفترة.

أما مدينة بجاية في العصر الوسيط قد لاقى اهتماما واسعا من طرف المؤرخين و الباحثين، باعتبارها ثاني عاصمة لدولة بني حماد، كما شهدت هي الأخرى أحداثا تاريخية مهمة في المغرب الأوسط، و التي أنشأت من طرف الناصر بن علناس اثر انهزامه في معركة سببية سنة (457هـ/1064م)، هروبا من الهلاليين. و عليه فإن لهذه المدينة تاريخا عريقا ميزها عن باقي عواصم المغرب الإسلامي عموما و المغرب الأوسط خصوصا، اذ عرفت تفتحا فكري و علميا، و تطورا حضاريا وعمرانيا، مما جعلها مركز اهتمام الدويلات التي حكمت المغرب الأوسط بعد الدولة الموحدية.

المبحث الاول : جغرافية و تاريخ مدينة تيهت:

1-جغرافية مدينة تيهت

تعد منطقة تيهت من المناطق التي حظيت بالدراسات الجغرافية على غرار باقي مناطق المغرب الأوسط وهذا راجع لموقعها الاستراتيجي ودورها الحضاري الجديد .

حيث جاء على لسان المؤرخين العرب وفي معظم كتب الجغرافيا و الرحلات كلمة " تيهت " ، و وردت " تاهرت " بين الحين والآخر ، واللفظتان زنايتان ، (بمعنى اللبؤة)¹ ، وعن ياقوت الحموي في كتابه " معجم البلدان " بان تيهت : " بفتح الهاء وسكون الراء والتاء فوقها نقطتان وهي اسم لمدينتين متقابلتين بأقصى المغرب يقال : "إحدهما تاهرت القديمة وأخرى تاهرت المحدثه بينهما وبين مسيلة ستة مراحل"²، و جل المفاهيم نفسها في الكتب الأخرى ، فقد ذكرها الإدريسي في كتابه " نزهة المشتاق " فيقول : " بان القديمة من هاتين المدينتين ذات سور وهي قمة جبل قليل العلو " ³ ، وأيضا في كتاب الاستبصار : وردت تيهت " بأنها مدينة مشهورة قديمة كبيرة عليها سور صخر ومدينة تيهت في سفح جبل يسمى (قرقل)، وهي على نهر كبير يأتيها من ناحية المغرب سمي "مينة" ، ولها نهر آخر يجري من عيون تجتمع يسمى تاتس ، ومنه تشرب أرضها و بسايتها " ⁴.

ومما سبق فان تيهت مدينة عظيمة و كبيرة كانت لها مكانة في المغرب الأوسط و ساهمت في تفعيل الحركة العلمية والتجارية وتداولت عليها الأجناس ونمت بها الدول وخاصة الدولة الرستمية التي شهدت ازدهارا لا مثيل له في بقاع المغرب الإسلامي، بحيث سميت قديما "عراق المغرب" ⁵.

1 - شاوش محمد بن رمضان: الدر الوقاد من شعر بكر بن حماد التاهرتي ، المطبعة العلوية، مستغانم ، ط1 ، 1966 ، ص 18 .
 2 - شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت الحموي : معجم البلدان، دار صادر ، بيروت ، 1977 ، ج 2، ص 7 .
 3 - الإدريسي : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، تح : محمد حاج صادق، بلجيكا ، 1983 ، ص 110 .
 4 - مؤلف مجهول : الاستبصار في عجائب الأمصار، تعليق : سعد زغلول ، دار الشؤون الثقافية ، العراق ، ص 178 .
 5 - ياقوت الحموي ،المصدر السابق ، ج 2 ، ص 8 .

وقيل أن تيهت من افريقية وهي غربي سطيف كانت قاعدة المغرب الأوسط وكان بها مقام بني رستم حتى انقضت دولتهم بدولة الخلفاء الفاطميون .¹ ومدينة تيهت مدينة محصنة جدا وهذا لطبيعة بيئتها وتضاريسها وهي صعبة المنال والدخول إليها، فتحدث عنها أبو عبيد قائلاً: مدينة تيهت مدينة مسورة لها أربعة أبواب : باب الصفا ، وباب المنازل ، وباب ، وباب الأندلس، وباب المطاحن.²

أما عن مدينة تيهت القديمة فإن الزهري يذكر بأنها من " بنيان العمالقة و قد وجدت في زماننا آثارهم"³.

وللحديث فإن جميع المصادر الجغرافية تذكر تيهت وحالتها فقد أصبحت في وقت قصير مدينة عامرة تجارتها و زاهرة وقومها يأسرة، وهذا راجع لعدة عوامل منها البيئة الجيدة و حسن سيرة أئمتها ووفرة العاملين فيها، وهي أيضا مقصد الرحلات والهجرات فاتفق كل من ابن حوقل و ياقوت الحموي وغيرهم بأن تيهت مدينة كبيرة خصبة وكان لها بساتين كثيرة فيها جميع الثمار وفيها سفرجل يفوق سفرجل جميع البلاد حسنا وطعما و رائحة .⁴ وأما عن أحوال تيهت وبردها فإن الجغرافيين أطنبوا في ذكرهم عن ذلك وقالوا بأنها بلد شديد البرد و الثلج ،حتى أن الشمس بها قل ما ترى ، وللاشارة فإن الشعراء و الكتاب كتبوا عن بردها بأبيات شعرية جل المصادر ذكرتها، خاصة قصة الأعرابي الذي تأذى من شدة بردها.⁵

ويقول الشاعر أبو بكر ابن حماد يصف برد تيهت :

ما أحشن البرد وريعانه
و أطرف الشمس بتاهرت⁶.

1 - عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر أبي الفدا: تقويم البلدان، تصحيح : رينود و ماك كوكين ، دار الطباعة السلطانية ، باريس ، 1830، ص 139 .

2 - ياقوت الحموي :معجم البلدان، ص 8 .

3 - أبي عبد محمد بن بكر الزهري :كتاب الجغرافية، تح : محمد الحاج صادق ، مكتبة الثقافة الدينية،(د.ت) ،ص 113 .

4 - مؤلف مجهول : الاستبصار، مصدر سابق ، ص 178

5 -القزويني زكريا بن محمد بن محمود :أثار البلاد و العباد، دار صادر ، بيروت ، ص 196 .

6 - ياقوت الحموي ،المصدر السابق ، ص 8 .

هذه هي جغرافية تيهت بلد ومقام الرستميين عروس تلك الأقطار وفخر تلك الديار وقاعدة المغرب الأوسط¹.

2- تاريخ المدينة:

إن الحديث عن مدينة تيهت الرستمية عادة ما يرتبط بحركة الخوارج أو بالمذهب الإباضي²، الذي ظهر ببلاد المغرب الإسلامي في وقت مبكر، كما أدى دورا بارزا في تاريخها حتى منتصف القرن الرابع هجري³ في أحوالها السياسية والاقتصادية والاجتماعية، فباعثاق بلاد المغرب للمذهب الإباضي، انفصلوا واستقلوا عن الأمويين و العباسيين، فكانت نتيجة ذلك إقامة دولة مستقلة ببلاد المغرب، أو ما نسميه دولة منفصلة عنهم ببلاد المغرب الأوسط، ألا وهي دولة بني رستم "الدولة الرستمية".

بعد عودة حملة العلم الخمسة إلى المغرب⁴، عقدت جميع الإباضية⁵ لأبي الخطاب عبد الأعلى بن سميح المعافري بالإمامة سنة 140 هـ / 758 م، ونظرا لوجود اضطرابات بطرابلس، فقد توجه ابن الخطاب إلى هناك لإخماد ثورة إحدى القبائل البربرية بتلك المنطقة.

1- أنظر الملحق رقم (01) : خريطة الدولة الرستمية ، ص 110.

2- المذهب الإباضي : ظهر المذهب الإباضي و ترعرع في البصرة و انتشر إلى الأصقاع، ظهر في عمان بصورة جلية بعد سقوط إمامة اليمن، سالم بن حمود بن شامس السيابي : **طلقات المذهب الرياضي في حلقات المذهب الإباضي**، وزارة التراث القومي و الثقافة ، عمان، 1980، ص 71.

3- محمد إسماعيل عبد الرزاق : **الخوارج في بلاد المغرب** ، دار الثقافة ،المغرب ، ط 2 ، ص 51.

4- **حملة العلم الخمسة** : وهي البعثة التي أرسلت من المغرب إلى البصرة لتلقي تعاليم المذهب الإباضي على يد إمامها أبي عبيدة مسلم ابن أبي كريمة ، وتتكون تلك البعثة من عبد الرحمن بن رستم ، عاصم السدراتي ، أبي داوود القبلي النفراوي ، إسماعيل ابن درار الغدامسي تكونوا لمدة خمس سنوات . احمد بن سعيد بن عبد الواحد الشماخي : **السير**، تح : مسعود بن احمد السيابي ، دائرة التراث القومي و الثقافة ، سلطنة عمان ، ج 1 ، ط 2 ، ص 113 .

5- الإباضية: فرقة من الفرق الإسلامية برزت تنسب إلى عبد الله ابن اباض إلا أن إمامها الحقيقي جابر ابن زيد الأزدي، اشتهرت الإباضية ضمن فرق الخوارج إلا أنها انشقت عنهم فبرزت مستقلة لوحدها. الشماخي: **المصدر السابق**، ص 77.

واستخلفه في منصبه بالقيروان عبد الرحمن ابن رستم¹، بعد أن تمكن محمد ابن الأشعث الخزاعي صاحب مصر دخول القيروان والقضاء على أبي الخطاب سنة 143هـ / 761م².

و على إثر هذه الهزيمة ، فر عبد الرحمن بن رستم من القيروان إلى المغرب ، واجتمعت إليه طوائف البربر الإباضية من لماية و لواتة ونفزاوة فنزل بها³.

يذكر ابن عذاري أنهم عزموا على بنيان مدينة تجمعهم فنزلوا بتيهت ، حيث يصف ابن عذاري على أنها غيضة بين ثلاثة انهار ، هذا ما اكتفى به ابن عذاري عكس ما ذكره الدرجيني: على أن تيهت كانت فيها السباع وعندما باشروا بنائها أمروا مناديا ينادي بسباعها و وحوشها و هوامها أن اخرجوا فإننا أردنا عمارة هذه الأرض⁴ وبعد ثلاثة أيام رأوا وحوشها تحمل أولادها خارجة منها ، فعزموا على إنشائها ، فبدئوا يختطون تاهرت وهي على بعد خمسة أميال من تاهرت القديمة⁵.

أما عن تاريخ بنائها فيختلف المؤرخون في ذلك ، فابن عذاري يجعل تأسيسها سنة 161 هـ/778م، في قوله : " واختط الناس مساكنهم وذلك سنة 161 هـ /778م"⁶ غير أن ابن خلدون يجعل تأسيسها سنة 141 هـ/759م.⁷

¹ عبد الرحمان ابن رستم : هو من أصل فارسي و يعد من حملة العلم الخمسة و الدعاة الإباضيين و هو المؤسس الأول للدولة الرستمية الإباضية في تيهت (المغرب الأوسط) حيث حكمها (160هـ-777م / 168هـ-784م)، تاديوس ليفيتسكي : تر : ماهر جزار، ربما جزار، المؤرخون الإباضيون في شمال إفريقيا، منشورات مؤسسة تالوت الثقافية ، 2007، ص 14.

² أبي العباس احمد ابن محمد ابن عذارى المراكشي : البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب ، تع : بشار عواد معروف ، محمود بشار عواد ، دار الغرب الإسلامي، ط 1 ، تونس ، 2013 ، ج 1 ، ص 196 .

³ عبد الرحمن ابن خلدون: ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، دار الفكر، بيروت، ج 6، 2000، ص 147.

⁴ احمد سعيد الدرجيني: طبقات مشائخ المغرب ، تع : إبراهيم طلاي ، ج 1 ، ص 41.

⁵ أبي زكريا يحيى ابن أبي بكر : سير الأئمة وأخبارهم ، تع : إسماعيل العربي ، المكتبة الوطنية ، الجزائر ، 1979 ، ص 53 .

⁶ ابن عذاري : المصدر السابق، ج 1 ، ص 196 .

⁷ ابن خلدون :المصدر السابق ، ج 6 ، ص 147 ..

إلا أن جل المؤرخين يرجحون رواية ابن عذاري وهي أن بناء تاهرت كان في 161 هـ / 777م، لأنها تتفق مع سير الأحداث عكس التاريخ الذي حدده ابن خلدون 141هـ/759 م.

أما اختيار موقع تاهرت فهو وليد الظروف التي واجهت الدولة الرستمية في مطلع تأسيسها . فكان لموقعها الاستراتيجي مميزات تمثلت في أنها بعيدة عن خطر العباسيين ، باعتبارها تقع في منطقة داخلية محاطة بقبائل ينتمون للمذهب الإباضي، هذا ما يجعلها في مأمن من هجمات المخالفين ، بالإضافة إلى الثروة الاقتصادية التي تتمتع بها المنطقة ، وما يميز موقع تاهرت أيضا بأن مكانها يتوسط التل والصحراء هذا ما أضاف إليها مكانة هامة، باعتبارها نموذجا للحياة التجارية في بلاد المغرب الإسلامي.¹

هذا الحرص الذي اعتمده الإمام عبد الرحمن في اختيار موقع استراتيجي لبناء عاصمة له ،الذي كان من أسباب استمرارها اقتصاديا و سياسيا وعسكريا .

كان تخطيط مدينة تيهت على طريقة البناء الذي اعتمد في بناء المدن الإسلامية الكبرى " كالفيروان " وغيرها ، فقد شرع الاباضيون في تشييد مبانيهم بدءا من المسجد الجامع فبنوا مسجدا من أربع بلاطات² ، وحول المسجد الجامع اختط الناس مساكنهم فانتشرت الدور و القصور والبيوت والأسواق وأحاطوا المدينة بعد ذلك بسور محكم³.

1- محمد عيسى الحريري : الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي ، دار القلم ، الكويت ، ط 3 ، 1987 ، ص 97 .

2- ابن عذاري : المصدر السابق ، ج 1 ، ص 196 .

3- مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص 178 .

ظلت تيهت عاصمة للدولة الرستمية إلى غاية سقوطها الذي لم يكن حدثا بقدر ما كان نتيجة حتمية لما وصلت إليه الأمور من تدهور و انحطاط، فقد كان الحماس للمذهب الذي كان على عهد جدهم عبد الرحمن، فقد ضعفوا وانحرفوا على مبادئ المذهب ، وقد أدت الحروب التي وقعت بين الرستميين أنفسهم إلى انقسام المجتمع ، وإلى زيادة تدهور أوضاع تاهرت فأخذ عمراؤها نحو التراجع " حتى فسدت وفسد أهلها في تلك الحروب " ، ونظرا لهذه الاضطرابات وجدوا فرصة ملائمة للقوى الخارجية المتمثلة في " أبي عبد الله الشيعي " أن يضع حدا للدولة الرستمية سنة 296 هـ / 1912.

1- جودت عبد الكريم يوسف : العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984 ، ص 31 .

المبحث الثاني : جغرافية و تاريخ مدينة بجاية :

1- جغرافية مدينة بجاية:

تعتبر مدينة بجاية من المدن التي حظيت بالدراسات الجغرافية و التاريخية الهامة وهذا راجع لتوافد العلماء والرحالة عليها وذلك بسبب موقعها الاستراتيجي المطل على البحر .

بجاية : بكسر وتخفيف الجيم و ألف و ياء والهاء ، وهي مدينة على ساحل البحر بين إفريقية و المغرب و أول من اختطها بن علناس بن حماد بن زيري بن مناد بن بلكين في حدود سنة 475 هـ/1082م، بينها وبين جزيرة بني مزغناي أربعة أيام¹.

فيذكر الجغرافيين أن بجاية مدينة عتيقة تقع في منحدر شاهق على ساحل البحر المتوسط² وتحدث أبي الفدا في كتابه " تقويم البلدان " أن بجاية هي قاعدة المغرب الأوسط ولها نهر على شاطئه البساتين وأنهاره في شرقي بجاية ويقابل بجاية من الأندلس طرشوشة ، وغربها جزائر بني مزغنة ، وفي آخر حد مملكة بجاية و شرقي قسنطينة ، مرسى الخرز المخصوص بالمرجان وأمام هذا المرسى جزيرة سردينية³.

أما العبدري في كتابه " الرحلة المغربية " فيذكر أن بجاية مدينة كبيرة حصينة منيعة ، شهيرة برية و بحرية وثيقة البنيان عجيبة الإتقان ، رفيعة المباني ، غريبة المعاني ، موضوعة في أسفل جبل وعر مقطوع بنهر و بحر ، مشرفة عليها إشراف الطليعة متحصنة بها منيعة فلا مطعم فيها لمحارب ولا متسع فيها لطاعن و ضارب⁴.

1- شهاب الدين احمد ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج 1، ص 339. انظر الملحق رقم (02). ص 111.

2- حسن بن محمد الفاسي الوزان : وصف إفريقية ، تر : محمد حجي - محمد الأخضر ، ط 2، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1983، ص 50 .

3- عماد الدين أبي الفدا: المصدر السابق ، ص 137 .

4- أبي عبد الله محمد بن محمد بن علي بن احمد بن سعود العبدري البلنسي : رحلة المغربية ، تق : سعد بوفلاحة ، ط 1، منشورات بونة للبحوث والدراسات ، الجزائر ، 2007، ص 49.

وكما ذكر الحميري أيضا في كتابه " الروض المعطار في خبر الأقطار " أن بجاية هي قاعدة المغرب الأوسط ، مدينة عظيمة على ضفة البحر بضرب سورها وهي على جرف حجر ولها من جهة الشمال جبل يسمى "امسيول" وهو جبل سام صعب المرتقى¹ ، أما الإدريسي فيتحدث عنها قائلا: "فإن مدينة بجاية تعتبر مدينة المغرب الأوسط وعين بلاد بني حماد والسفن إليها مقلعة ، وبها قوافل منحطة والأمتعة إليها برا و بحرا والسلع إليها مجلوبة و البضائع بها نافقة وأهلها مياسير تجار، بها من الصناعات والصناع ما ليس بكثير من البلاد وأهلها يجالسون تجار المغرب الأقصى و تجار الصحراء وتجار المشرق ، وتباع البضائع بالأموال المقنطرة ، ولها بواد و لها مزارع و الحنطة والشعير ، وبها أيضا كما ذكرت جل المصادر دار الصناعة لإنشاء الأساطيل والمراكب و السفن و أن الخشب في أوديتها وجبالها"².

كما ذكر أيضا الحميري حول السفن والصناعة فيقول، إن بجاية هي عين بلاد بني حماد و السفن إليها متكررة برا و بحرا و السلع إليها مجلوبة ، وأهلها تجار مياسير ولها بواد و مزارع و الحنطة والشعير ، ويجلب إليها من أقاليمها الزيت وبها كذلك الحديد وبها من الصناعات كل غريبة .

إضافة إلى ذلك، فقد ذكر الحميري بأنها "مدينة عظيمة ما بين جبال شامخة قد أحاطت بها، والبحر منها في ثلاث جهات في الشرق و الغرب و الجوف ولها طريق إلى جهة المغرب ويسمى المضيق على ضفة النهر المسمى بالواد الكبير و الطريق في القبلية إلى قلعة بني حماد على عقاب أوعار كبيرة"³.

و بجاية معلقة من جبل قد دخل في البحر يضرب فيه وهي مدينة كثيرة الفواكه والخيرات وهي مشرفة نزهة مطلة على البحر. و لها نهر عظيم قد وضعت عليه نواعر وله منتزه عظيم ، وفي بجاية موضع يعرف باللؤلؤة، وهو أنف من الجبل قد خرج في البحر متصل بالمدينة فيه قصور من بناء ملوك صنهاجة غاية في الحسن فيها طاقات مشرفة على البحر ، و هذا الجبل " امسيول " هو كثير البساتين وكثير القردة⁴.

1- محمد بن عبد المنعم الحميري : الروض المعطار في خبر الأقطار، تح : إحسان عباس ، ط1، مكتبة لبنان ، 1975، ص 80.

2- الإدريسي : المصدر السابق ، ص 116 .

3- الحميري : المصدر السابق ، ص 81 .

4- نفسه، ص 81.

2- تاريخ المدينة:

بجاية اسم خالد في تاريخ المغرب الإسلامي بشكل عام وفي حضارة المغرب الأوسط بشكل خاص، إذ تعد ثاني عاصمة لدولة بني حماد، أما عاصمتهم الأولى فقد كانت مدينة القلعة المشهورة " بقلعة بني حماد" ¹ التي ارتبط اسمها باسم مؤسسها "حماد بن بلكين" ² الذي استطاع بعد المكاسب التي حققها كرجل حرب بتكليف من ابن أخيه " باديس ابن المنصور" ³ الذي سرح عمه حماد لحرب القبائل المعارضة فخرج على إثره وأثخن في زناة واختط مدينة القلعة سنة 398 هـ / 1007 م ⁴.

و استمرت حاله إلى أن قام باديس بأمره، وفي سنة 405 هـ/1014 كتب إليه باديس يأمره برفع يديه على ما ملكه، فامتنع حماد و ساء ما بينهما إلى قيام حروب وأهوال عظيمة ⁵، خلفهم فيها أبنائهم، فانقسم بذلك الملك الصنهاجي إلى دولتين، الدولة الزيرية أصحاب القيروان، ودولة بني حماد بن بلكين أصحاب القلعة ⁶.

أما عن بجاية العاصمة الثانية للحماديين فيرتبط ظهورها إلى أحداث تاريخية هامة توجت بظاهرها على مسرح الأحداث. فيرجع بناء مدينة بجاية الى ذلك العداء التاريخي القائم بين الدولتين الصنهاجيتين

1-القلعة: اختطها حماد بن بلكين سنة 398 هـ على قمة جبل يسمى تاقربوست، وهي قرب أشير، وليس لهذه القلعة منظر ولا رواء حسن وإنما اختطها حماد للتحصين والامتناع. ياقوت الحموي:المصدر السابق، ج 4، ص 163، ابن خلدون: المصدر السابق، ج 6، ص 227.

2-حماد بن بلكين: كان ملكا كبيرا وشجاعا ثبتا وهو الذي بنى القلعة المنسوبة إلى حماد، توفي في شهر رجب سنة 419 هـ. لسان الدين ابن الخطيب: أعمال الإعلام، القسم الثالث تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، تح: احمد مختار العبادي و إبراهيم الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1964، ص 64.

3-باديس ابن المنصور: أبو مناد باديس بن منصور بن بلكين بن زيري بن مناد الحميري الصنهاجي المغربي ولد سنة 374 بأشير وتوفي سنة 406 هـ، تولى إفريقية بعد أبيه المنصور. ابن عماد الدمشقي: شذرات الذهب في أخبار من الذهب، تح: عبد القادر ومحمد الارناؤوط، مج 5، دار ابن الكثير دمشق، ص 38، 39.

4- ابن خلدون: المصدر السابق، مج 6، ص 210.

5- ابن خطيب: المصدر السابق، ص 17 - 72.

6- ابن خلدون: المصدر السابق، مج 6، ص 210.

الزيرية و الحمادية ، و الذي تمثل في هذه الفترة في عهد الناصر بن علناس صاحب القلعة و " تميم بن المعز " ¹ صاحب المهديّة ².

يرجع بناء مدينة بجاية إلى ذلك العدا التاريخي القائم بين الدولتين الصنهاجيتين الزيرية و الحمادية ، و الذي تمثل في هذه الفترة عهد الناصر بن علناس صاحب القلعة و " تميم بن المعز " ³ صاحب المهديّة ⁴.

تحدث الروايات التاريخية أن سبب النزاع هو وصول أخبار لتميم بأن الناصر يتحدث في مجلسه و يذمه، وأنه عازم على المسير إليه ليحاصره بالمهدية ⁵ حسب رواية ابن الأثير ، غير أن صاحب الاستبصار يرى أن الناصر بن علناس خرج لنصرة ابن عمه ضد العرب بعد ما حوَصر بالمهدية ⁶.

وهنا أرسل تميم ابن المعز إلى حلفائه من بني رياح ضد الناصر يحملهم عليه فوافقوا شرط أن يقدم لهم المعونة ، فأعطاهم المال و السلاح "من الرماح والسيوف والدروع، فجمعوا قومهم وتحالفوا واتفقوا على لقاء الناصر ⁷، فالتقى الفريقان في سنة 457 هـ/1064م بين الناصر بن علناس ومن معه من

-
- 1- تميم ابن المعز: صاحب القيروان ، السلطان أبو يحيى الحميري ، ولد سنة 422هـ وتوفي سنة 501 هـ تولى الحكم سنة 455 هـ . ابن عماد الدمشقي: المصدر السابق، ج6، ص ص 5-6 .
 - 2- المهديّة: اختطها أبو عبد الله المهدي ونسبت إليه، وهي جزيرة متصلة بالبر كهيئة كف متصلة بالزند سنة 303 هـ ، ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج 5، ص ص 203 - 213 .
 - 3- تميم ابن المعز: صاحب القيروان ، السلطان أبو يحيى الحميري ، ولد سنة 422هـ وتوفي سنة 501 هـ تولى الحكم سنة 455 هـ . ابن عماد الدمشقي : المصدر السابق ، ج6 ، ص ص 5-6 .
 - 4- المهديّة: اختطها أبو عبد الله المهدي ونسبت إليه، وهي جزيرة متصلة بالبر كهيئة كف متصلة بالزند سنة 303 هـ، ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج 5، ص ص 203 - 213 .
 - 5- ابن الأثير: نفسه، ص 373 .
 - 6- مجهول: المصدر السابق، ص 129 .
 - 7- ابن الأثير: المصدر السابق، ص 377. انظر أيضا سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي، منشأة المعارف، ج 3، الإسكندرية ص 453 .

صنهاجة وزناتة ،وعدي والاثبح ، وبن رياح وزغبة وسليم¹ وتميم بن المعز في سببية²، فانهمر الناصر، وقتل من أصحابه خلق كثير ونهبت أمواله و مضاربه ، وقتل أخوه وسلم الناصر في نفر يسير وغنمت العرب جميع ما كان في العسكر من مال وسلاح ودواب³.

أما عن بناء مدينة بجاية فيرجع إلى أحداث تاريخية هامة، فلما نجا الناصر إلى القلعة ، نزلت عليه جيوش العرب وضيقوا عليه ببلاده فكان يصانعمهم حتى ضاق ذرعا بهم⁴ ، فانزعج الناصر ولم يستقم له العيش في قلعته، فاضطر في هذه الحالة أن يختط مدينة أخرى ، فأبرم صلحا مع ابن عمه تميم بن المعز⁵، وبعدها اهتم تميم بن المعز لما حدث لابن عمه مع العرب و أصابه حزن فبلغ ذلك الناصر⁶.

كان للناصر بن علناس وزيرا يسمى : "أبا بكر بن أبي الفتوح"⁷، الذي قام بإرسال رسول لتميم بن المعز لعقد هدنة، فقبل تميم بذلك وأرسل رسولا إلى الناصر " محمد بن البعبع"⁸، الذي مر على موضع بجاية وفيه أبيات من البربر ، فتأملها حق التأمل فلما قدم على الناصر غدر بصاحبه تميم بن المعز واستنجد بالناصر ، وقرر بينه وبين الناصر الهرب من تميم وعدم الرجوع إليه ، وأشار عليه ببناء بجاية وأراه المصلحة من ذلك موضع مينة والبلد و الدار السلطانية ، وأمر الناصر من ساعته بالبناء و العمل⁹.

1- القبائل العربية : نزحت من صعيد مصر إلى افريقية وسميت هذه الهجرة بالهجرة المغربية الهلالية، وتشمل قبائل بني هلال وبن سليم وعدي والاثبح ورياح و زغبة . عبد الحميد خالدي : الوجود الهلالي و السليمي في الجزائر ، الجزائر ، 2003 ، ص 194 .

2- سببية : ناحية من افريقية. ياقوت الحموي : المصدر السابق ، ج3 ، ص 186 .

3- ابن الأثير : المصدر السابق ، ص 373 .

4- مؤلف مجهول :المصدر السابق، ص 129 .

5- ابن عذاري : المصدر السابق ، ج1 ، ص 309، " وكان هذا الصلح الذي عقده المعز والناصر سنة 470 هـ ، وزوجه ابنته بلارة".

6- ابن الأثير : المصدر السابق ، مج 8 ، ص 373 .

7- أبي بكر بن أبي الفتوح : هو وزير الناصر تذكره المصادر انه كان له ميل لدولة تميم. ابن الاثير : المصدر السابق ،مج 8 ، ص 373 .

8- محمد بن البعبع : بعث به تميم بن المعز للناصر لعقد الصلح بينهما وفي طريقه اعجب بموقع بجاية فأشار على الناصر ببناء بجاية . ابن الأثير : نفسه، مج 8 ، ص 374 .

9- ياقوت الحموي :المصدر السابق ، ص 339 .

كما يرجع البعض أن السبب الرئيسي لتشييد بجاية هو أن الناصر كانت له أطماع توسعية ويريد فتح المهديّة ، فرأى أنه لا يستطيع فتحها إلا بعد الهجوم عليها من البر والبحر ، لذلك اختار مرسى يكون قريبا من افريقية، ويرى البعض الآخر السبب في بناء مدينة بجاية يرجع إلى خراب القلعة ، كنتيجة لموقعة سببية ، غير أن المؤرخ رشيد بورويبة يرى أن قلعة بني حماد كانت غير مهددة من طرف بن هلال و الدليل على ذلك حسب قوله : أنها بقيت عاصمة ثانية للحماديين وأن الأميرين (الناصر و المنصور) شيئا فيها عدة مباني شهيرة¹.

إن موضع بجاية كان موقعا لمدينة أسسها الفنيقيون تعرف باسم " صلدة " ثم انتقلت إلى الرومانيين وعرفت باسم " صلداي"²، بينما البكري يصفها على أنها مرسى سماه " مرسى بجاية "³. ولم يذع صيتها في العهد الإسلامي إلا بعدما اختطها الناصر سنة 460 هـ/1067م وكان له قبيل من البربر يسمون بهذا الاسم ، إلا أن الكاف فيهم بلغت ليس كافا بل هين بين الجيم والكاف ، وعلى هذا القبيل من صنهاجة يأتون لها أوزاعا من البربر ، فلما فتح هذا الجبل اختط به الناس وسموها الناصرية ، إلا أنها عرفت باسم القبيلة البربرية التي تقطنها ألا وهي بجاية فانتقل إليها سنة 461 هـ/1068م ، أما ابنه المنصور فنزل ببجاية سنة 483 هـ/1090م ، فاتخذها دار ملكه ، وجدد قصورها وشيد جامعها⁴، ويشيد بتلك القصور صاحب " الاستبصار " بقوله " لم يرى الراؤون أحسن منها بناءا ويصفها بأنها "نقشت أحسن نقش انزلت بالذهب و اللازورد"⁵.

¹ - رشيد بورويبة: الدولة الحمادية تاريخها و حضارتها، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1977 ، ص 68 .

² - عبد الحليم عويس : دولة بني حماد ، دار الصحوة للنشر و التوزيع ، القاهرة ، ط 2 ، 1991 ، ص 69 .

³ - البكري : المصدر السابق ، ص 82 .

⁴ - ابن خلدون : المصدر السابق ، ج 6 ، ص 232 .

⁵ - مجهول : المصدر السابق ، ص 130 .

كانت بجاية مدينة عامرة وزاهرة إلى آخر حكامها " يحي بن عبد العزيز " ففي سنة 547 هـ / 1152 م قوضت دولة الموحدين بقيادة أميرها " عبد المؤمن " ¹ ، دولة بني حماد في بجاية و القلعة، حيث حاصر عبد المؤمن بجاية وضيق عليها أشد التضييق ، فلما رأى يحي ابن عبد العزيز أن لا طاقة له بدفاع القوم ولا يستطيع منعهم ، أرسل إليه عبد المؤمن الجيوش و دخل عبد المؤمن بجاية وملكها وملك قلعة بني حماد وأقام فيها مدة شهرين حتى هدنها وفتح أقطارها².

ظلت بجاية وحتى بعد سقوط الدولة الموحدية تؤدي دورا مهما وفعالا، مما جعلها مركز اهتمام الدويلات التي حكمت المغرب بعد الدولة الموحدية كالحفصية و المرينية و الزيانية .

¹- عبد المؤمن : بن مروان بن عامر بن الأمير بن موسى بن مادغسين ابن بر ابن عيلان ابن عدنان، ولد سنة 487 هـ في أسرة فقيرة من قرية تاجرا نواحي ندرومة ، طلب العلم في بلده ثم رحل إلى ملالة فالتقى بابن تومرت ، وهو الذي خلف المهدي ابن تومرت و أسس بذلك الدولة الحمادية ، توفي سنة 558 هـ بعد أن قام بتوحيد المغرب الإسلامي . ابن خلكان : وفيات الأعيان في أنباء أبناء الزمان، تح : إحسان عباس، دار صادر، ج 3، بيروت ، ص 237 .

²- عبد الواحد المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب من فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين ، تح : محمد سعيد العريان ، مطبعة ليدن، 1881 ، ص 271 . انظر: ابن أبي زرع الفاسي : الأنيس المطرب بروض القرطاس ، صور للطباعة و الوراقة ، الرباط ، 1972 ، ص 194 .

الفصل الأول :

دراسة معمارية لمدينة تيمرت

المبحث الأول : نشأة مدينة تيمرت.

- 1- أصل التسمية
 - 2- ظروف بناء مدينة تيمرت.
 - 3- وصف المدينة من طرف الرحالة و الجغرافيين.
- #### المبحث الثاني : التنظيم المعماري لمدينة تيمرت.

- 1- المنشآت العسكرية.
- 2- المنشآت الدينية.
- 3- المنشآت المدنية.
- 4- الجانب الزخرفي لمدينة تيمرت الرسمية.

المبحث الأول : نشأة مدينة تيهرت

تعتبر مدينة تيهرت من بين أهم المدن الإسلامية نشأة في المغرب الأوسط، و التي بلغت شأنًا عظيمًا آنذاك و حظيت باهتمام كبير من طرف المؤرخين و الجغرافيين العرب، الذين أولوا بها عناية بالغة في وصف تخطيطها و معمارها، وهو الأمر الذي قادنا للإطلاع على تلك المصادر قصد التعرف على موقع مدينة، وأصل تسميتها، ثم الوقوف على أهم معالمها المعمارية .

1- أصل التسمية

اختلف المؤرخون و تعددت المصادر في طريقة كتابة حروف تيهرت و كذا نطقها ،فمنهم من كتبها "تاهرت" بفتح التاء المثناة ثم ألف وهاء وسكون مع الراء المهملة وفي آخرها تاء ثانية¹، أما البعض الآخر كتبها تيهرت بكسر التاء، بعدها ياء فراء ساكنة²، إلا أن تسمية تيهرت قد إقترنت بمدينتين كبيرتين في المغرب الأوسط، الأولى قديمة أزلية و الثانية محدثة³، و التي على بعد خمسة أميال غربا⁴، الأمر الذي أدى إلى استحداث صفات جديدة من أجل التفريق بينهما، فنجد تارة تيهرت الحديثة أو المحدثة (تيهرت القديمة)، وتارة أخرى ترد تيهرت السفلى (تيهert العليا)، وفي هذا الصدد يقول البكري واصفا نزول الإباضية بتيهرت : " لما أرادوا بناء تاهرت كانوا بينون النهار، فإذا جن الليل وأصبحوا وجدوا بنيانهم قد تهدم، فبنوا حينها تاهرت السفلى وهي الحديثة"⁵. و جاء في رواية أبي زكريا: " ثم إن تاهرت كانت حرزا وحصنا لجماعة مسلمين"⁶، و يضيف البكري بقوله : " سمي الموضع معسكر عبد

1 - أبي الفداء : المصدر السابق، ص 138 .

2 - مبارك الميلي : تاريخ الجزائر في القديم والحديث ، ج2 ، ط1 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، ص 88 .

3 - الإدريسي : المصدر السابق، م1، ص 275 .

4 - البكري : المصدر السابق : ص 67 .

5 - البكري : نفسه ، ص 67 .

6 - أبي زكريا : المصدر السابق ، ص 84 .

الرحمن ابن رستم "، وهناك تسمية أخرى أضافها البكري فقال: "ونزل عبد الرحمن موضعا مربعا لا شعراء فيه، فقال البربر نزل تاقدمت"¹، فتاقدمت هي إحدى تسميات مدينة تيهرت.

2- ظروف بناء مدينة تيهرت

شهد المغرب الأوسط ظروف سياسية مزرية، فرضت على الإباضية إقامة مدينة تكون حصنا لهم و أمنا، فخرجت مجموعة من العارفين يرتادون موضعا صالحا لإنشاء هذه مدينة خاصة بهم فاختاروا موضع تيهرت، إذ لا يوجد تاريخ محدد لبنائها، إلا أن بعض المصادر جعلت من سنة 144هـ² ابتداء بنائها، فذكر الرقيق القيرواني : أن عبد الرحمن ابن رستم قد وصل تيهرت منهزما إثر حصار طبنة³، سنة 154 هـ / 771 م⁴، فابن رستم قد شارك في هذا الحصار الذي يعد قاعدة الزاب⁵ سنة 154 هـ/771م، لكن الحصار فشل و أدى إلى انهزامه في تهودة⁶ القريبة من طبنة، و وصل إلى جبل سوفجج مرة أخرى⁷، بعد أن خسر ثلاثمائة رجل من أصحابه، وبهذا فهو لم يقصد موضع تيهرت إلا سنة 153

1 - البكري : المصدر السابق ، ص 68 .

2- حيث يقول البكري : في صفر سنة أربعة و أربعين ومائة هرب عبد الرحمن ... واتفقوا على تقديمه وبنيان مدينة تجمعهم فنزلوا موضع تيهرت ، أبو عبيد الله بن عبد العزيز البكري: المصدر السابق، ص 68 .

3- طبنة : هي أعظم مدن الزاب القديمة، سكنها أخلاط من قريش والعرب و العجم و الأفارقة و الروم، وكان أبو جعفر عمر بن حفص المهلهي هو الذي جدد بنائها حوالي سنة 153هـ. عز الدين أبو الحسن علي بن محمد الجزري ابن الأثير: الكامل في التاريخ ج 5 ، ص 31. انظر أيضا : الحموي : المصدر السابق ، ج 4، ص 21.

4- الرقيق القيرواني : تاريخ افريقية و المغرب، تع : محمد زينهم - محمد عزب ، ط 1، تونس، 1994، ص 143..

5- الزاب : و هو تعريف قدم للقسم الجنوبي من عمالة قسنطينة وقاعدة مدينة بسكرة. الحميري : المصدر السابق ، ج 3، ص 123، حسن عبد الوهاب حسني : خلاصة تاريخ تونس، تونس ، الدار التونسية للنشر ، 1968، ص 57 .

6 - تهودة : مدينة كبيرة وقديمة عليها سور عظيم مبني بالحجر تقع بالقرب من بسكرة ولها نهر كبير ينصب إليها بين جبل الأوراس، مؤلف مجهول : المصدر السابق، ص 174 - 175. انظر أيضا : صالح يوسف بن قرية : تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر، سلسلة المشاريع الوطنية، الجزائر، 2009م، ص 261.

7- سوفجج: هو جبل منبع يقع بين مدينتي قصر الشلالة شرقا والسوقر غربا وجنوبي مدينة تاهرت، والمعروف حاليا بجبل بوشقيف، محمد علي ديبوز : تاريخ المغرب الكبير ، ج 3، دار الإحياء الكتب العربية، 1383هـ/1963م، ط 1، ص 256.

هـ/770م، وعليه يمكن القول أن المدينة لم تشيد قبل سنة 153هـ /770م، و المؤكد أن عبد الرحمن بن رستم انتقل إلى تيهرت ما بين سنتي 155هـ/772م و 160هـ/777م¹ وهو ما يجعل فرضية بناء المدينة حوالي سنة 160هـ / 777م².

بعد مبايعة الإمام عبد الرحمن بن رستم بالإمامة أراد أن يتخذ عاصمة يباشر منها مهام حكمه وشؤون رعيته، وقد وجب عليه توفير الأمن والرخاء، فجاء اختيار موقع تيهرت أثر الظروف التي واجهت الدولة الرستمية في مطلع تأسيسها، بالإضافة إلى موقعها الهام³ بين دول المغرب الأخرى. وعليه فقد ظهرت مجموعة من المميزات تمثلت في :

- بعد المدينة عن الخطر العباسي، إذ أنها تقع في منطقة داخلية منطوية في السفح الجنوبي "لجبل كزول"⁴، و تدير ظهرها لجهة البحر، مما أكسبها موقعا استراتيجيا لحماية دولة ناشئة محيطة بالأعداء من كل الجوانب⁵.

- إحاطتها بقبائل معظمهم ينتمون للمذهب الإباضي، إذ يحدد البكري ذلك فيقول: ويقابلها " تاهرت " لواتة و هوارة في قرارات و بغريبها زواغة و بجوفها مطماطة و زناتة و مكناسة"⁶ فموقع تاهرت يعتبر امتدادا لبلاد الزاب، وهذا ما سهل على عبد الرحمن بن رستم كيفية الاتصال

¹ - إبراهيم بكير مجاز: الدولة الرستمية دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف قسنطينة، 2015، ص، 119.

² - جودت عبد الكريم يوسف: المرجع السابق، ص 30.

³ - محمد عيسى الحريري: المرجع السابق، ص 95.

⁴ - جبل كزول: يذكر البكري اسم الجبل جزول بالجيم، أما صاحب الاستبصار: أن اسمه قرقل و يبدو أن هذه الأسماء كلها صحيحة إلا أنها استعملت في فترات زمنية مختلفة، البكري: المصدر السابق، ص 66. انظر: مؤلف مجهول: المصدر السابق ص 178.

⁵ - سعد عبد الحميد زغلول: تاريخ المغرب العربي، ص - ص 375-377.

⁶ - ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج 2، ص 8.

بالجماعات الإباضية في الأقاليم الشرقية للمغرب كطرابلس¹ ونفزاوة و بلاد الجديد، مما ساعد على اتساع رقعة الدولة دون وجود عوائق طبيعية².

- تقع مدينة تيهرت في منطقة غنية اقتصاديا و اشتهرت بمراعيها الواسعة و تنوعت ثروتها الزراعية ، لكثرة مصادر المياه وتوزعها في المنطقة إضافة إلى الأنهار العظيمة الموجودة فيها كنهر مينة³، ونهر تاتس الذي كان له الأثر في دعم اقتصاد الدولة، مما جعلها عاصمة تجارية بين مدن المغرب الكبرى، وفي هذا الصدد يشير ابن حوقل عن الرخاء الاقتصادي الذي امتازت به منطقة تيهرت فقال : " وهي احد معاون الدواب و الماشية و الغنم ...، يكثر عندهم العسل و السمن و ضروب الغلات "⁴، وقد أضاف الإصطخري : حول ثراء تاهرت فقال : " وهي مدينة كبيرة خصبة واسعة البرية و الزروع و المياه "⁵.

- أن منطقة تاهرت تتوسط التل و الصحراء، هذا الموقع الذي حقق لها السيادة على المنطقة السهوية الشاسعة، و ما تحتويها من طرق وقوافل تجارية الممتدة من الغرب إلى المغرب الأقصى جنوبا إلى قلب إفريقيا عبر الصحراء الكبرى، كما أنها تشرف على الطريق المار من منطقة التلال إلى أسفل وادي الشلف المؤدي إلى البحر، وبهذا أصبحت تاهرت مثالا للحياة التجارية في بلاد المغرب⁶.

¹ - طرابلس : وتكتب أيضا اطرابلس ويعني اسمها مجموعة المدن الثلاث : صيرة، ابا، وليدة، وفتح طرابلس والي مصر عمر بن العاص

وهي أقصى فتوحاته غربا، لسان الدين ابن الخطيب: المصدر السابق ، ص 11.

² - سعد زغلول: المرجع السابق، ص 375 .

³ - نهر مينة :وهذا النهر يأتي من جهة القبلة لمدينة تيهرت عاصمة الرستميين، البكري : المصدر السابق ، ص 66.

⁴ - ابن حوقل :المصدر السابق ، ص 86.

⁵ - أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الإصطخري : المسالك والممالك ،دار صادر، بيروت، 2004 ، ص34.

⁶ - محمد زينهم محمد عزب:قيام وتطور الدولة الرستمية بالمغرب،ط1،دار العالم العربي ، القاهرة ، 2013، ص 80.

أما تخطيط تاهرت فقد جرى على النحو الذي لتبع بناء المدن الإسلامية الكبرى، الأمر الذي ساعدها على انصهار أفراد المجتمع و امتزاجهم و عدم التفرقة بين عناصرهم¹.

و فيما يتعلق بتاريخ بناء تاهرت فابن خلدون يجعل تأسيسها إلى سنة 144هـ / 761م أي نفس السنة التي فرّ فيها عبد الرحمن بن رستم من القيروان إلى المغرب الأوسط، إذ يقول ابن خلدون "فأسسها(أي تيهرت) عبد الرحمن واختطها سنة 144هـ فتمدنت واتسعت خطتها إلى أن هلك عبد الرحمن"².

أما ابن عذارى فقد روى عن ابن قطان أن بناء تاهرت المدينة على بعد سنة 140هـ / 757م ثم عاد ابن عذارى وذكر في موضع آخر إلى تحديد بنائها فقال : " فرّ عبد الرحمن إلى المغرب، و اجتمعت إليه الإباضية و عزموا على ببناء مدينة تجمعهم، فنزلوا بموضع تيهرت فبنوا مسجدا من أربع بلاطات، واختط الناس مساكنهم وذلك سنة 161هـ"³.

وبمناقشة هذه التواريخ المختلفة نجد أن سنة 144هـ / 761م التي حددها ابن خلدون لا تنسجم مع واقع الأحداث، فالمعروف أن عبد الرحمن بن رستم قد فرّ إلى المغرب الأوسط سنة 144هـ / 761م⁴، وخلال هذه السنة وقع تحت حصار محمد ابن الأشعث مدة أطول في جبل سوفجج إلا أن مدته لم تذكر و غير معروفة، والمتبقي من سنة قد لا يكفي لتجميع قوى الإباضية بحيث تفكر في بناء عاصمة تجمعهم⁵.

¹ - محمد زينه محمد عزب : نفسه، ص 193.

² - عبد الرحمن ابن خلدون : المصدر السابق ، ج 6 ، ص 247 .

³ - ابن عذارى المراكشي : المصدر السابق ، ج 1 ، ص 169 .

⁴ - البكري : المصدر السابق ، ص 68 .

⁵ - الشماخي : المصدر السابق ، ص 133 .

وعليه نستنتج أن رواية ابن عذارى هي الرواية الأقرب إلى سنة تأسيس مدينة تاهرت و التي كانت سنة 140هـ/م، لأن في سنة 144هـ/م ، كان عبد الرحمن بن رستم قاضيا في طرابلس وعاملا في الخطاب على القيروان¹.

3- وصف المدينة من طرف الرحالة و الجغرافيين

أشاد عدد من الرحالة و المؤرخين بمدينة تيهت ووصفوها، إذ كانت في القديم عبارة عن مدينتين إحداهما قديمة و الأخرى حديثة، فالقديمة ذات سور و هي على جبل قليل العلو²، و تيهت بعيدة من القيروان، و تفصل بينها منطقة الزاب، و جبال الأوراس كما أنها بمأمن من خطر البيزنطيين لكونها منطقة داخلية، و هي تقع بين التل و الصحراء لتكون بذلك معبرا تجاريا بينهما، إلى ما وراء البحر على الطريق بين المشرق و المغرب و الأندلس³. أما فيما يتعلق ببناء هذه المدينة الجديدة، تحدث عنها البكري فقال: " أنهم لما أرادوا بناء تاهرت كانوا يبنون النهار فإذا جن الليل و أصبحوا وجدوا بنيانهم قد تهدم، فبنوا حينئذ تاهرت السفلى و هي الحديثة وعلى بعد خمسة أميال عن القديمة " و يضيف البكري قائلا: " مدينة تيهت مسورة بها أربعة أبواب، باب الصفا، باب المنازل، باب الأندلس و باب المطاحن، و هي سفح جبل يقال له جزول و لها قصبه مطلة على السوق سميت بالمعصومة و هي على نهر يأتيها من جهة القبلة سمي " مينة "، و نهر آخر يجري من عيون سمي تاتش، و هي شديدة البرد كثيرة الغيوم و الثلج⁴.

¹ - اليعقوبي : المصدر السابق ، ص 353 .

² - عبد الحميد سعد زغلول : المرجع السابق، ج 2 ، ص 291 .

³ - الأندلس : هي جزيرة كبيرة تغلب عليها المياه الجارية والشجر و التمر والرخص والسعة في الأحوال، و الأحوال عبارة عن مثلث يحيط به البحر من ثلاث جهاتها الثلاث ، وهي مقسومة من وسطها بجبال الشارات و تسمى اسبانيا . ياقوت الحموي : المصدر السابق، ج 1 ، ص ص 262- 263 .

⁴ - احمد الحمدي : الوصف الجمالي لتيهت عند كتاب المسالك والممالك، المجلة الخلدونية، عدد خاص، 2009، ص 6.

و قد زار اليعقوبي مدينة تاهرت، فقال عنها: "تاهرت جليلة المقدار، عظيمة الأمر تسمى عراق المغرب بما أخلاط من الناس، تغلب عليها قوم من الفرس يقال لهم بنو محمد بن افلح بن عبد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم."¹

و تحدث عنها صاحب الاستبصار بقوله: " مدينة تاهرت، و هي مدينة مشهورة قديمة كبيرة عليها سور من صخر حجر، و لها قصبة منيعة تسمى المعصومة، و هي في سفح جبل يسمى قرقل(جزول) و على نهر يأتيها من ناحية المغرب يسمى مينة."²

و يضيف الحموي بقوله: " تاهرت اسم لمدينتين متقابلتين بأقصى المغرب و يقال لإحدهما تاهرت القديمة و الأخرى تاهرت المحدثه، بينهما و بين المسيلة ست مراحل و هي بين تلمسان و قلعة بني حماد فهي كثيرة الأنداء و الضباب و الأمطار، حتى أن الشمس بها قل ما ترى."³

و قد بالغ المقديسي في وصفها فقال: " تاهرت اسم القصبة هي بلخ⁴ و يقول أيضا أنها بلد كثير الخير رحب، رفق طيب، و شيق الأسواق، غزير المياه، جيد الأهل، قديم الوضع، محكم الوصف، عجيب الوصف."⁵

¹ - اليعقوبي: المصدر السابق، ص 21.

² - مجهول: المصدر السابق، ص 178.

³ - الحموي: المصدر السابق، ص 60.

⁴ - البلخ : مصدر الابلخ، وهو العظيم في نفسه. ابن منظور : لسان العرب ، مج 4 ، بيروت ، لبنان، دار صادر، ص 9.

⁵ - المقديسي: المصدر السابق، ص 228 .

المبحث الثاني : التنظيم المعماري لمدينة تيهرت

اتخذت المدينة تنظيماً وأسس محكمة في تخطيط المدينة الإسلامية من حيث توزع المرافق المختلفة، فكان المسجد الجامع أول ما بني فيها ثم تأتي بعده المعالم العسكرية والمدنية. ويمكن تفصيل ذلك فيما يلي:

1- المنشآت العسكرية

تنوعت المنشآت العسكرية في مدينة تيهرت بين الأسوار والأبراج والقلاع والحصون، والتي كان لها دور فعال في حماية المدينة وسكانها من الغزوات الخارجية.

أ- المداخل (الأبواب):

تعود المسلمون في القديم أن يؤسسوا أبواباً للمدن الكبيرة، والتي تراقب فيها حركة التجار المتنقلين وكذا القوافل التجارية، و يسمونها في بعض الأحيان بأسماء هذه المدن¹. وفيما يتعلق بمدينة تيهرت فقد أشار ابن الصغير إلى وجود أبواب المدينة، منها الأبواب الأربعة الأساسية التي ارتكزت عليها مدينة تيهرت، فنجد: باب الصفا: الذي يقول فيه عند خول وفد البصرة من المشرق: " حتى دخلوا من الباب المعروف بباب الصفا...، حتى وقفوا عليها و أصابوا عند بابها"،² و أضاف البكري إلى هذا الباب أبواباً أخرى بقوله: " مدينة تيهرت لها أربعة أبواب: باب الصفا، باب الأندلس، باب المنازل و باب الطاحن."

بالنسبة لباب الصفا، فإن أصل كلمة " الصفا" تأكلت الفاء و كانت نقطتها أسفلها فنزلت "الصبا" وهي تسمية محتملة تيمناً بباب الصفا في مكة، أما الصفا فهي تعبير عن مواجهته لريح الصبا³. و يذكر الباروني أسماء هذه الأبواب فقال: " ما ألطف هذه الأسماء و ما أحسن هذا التقسيم المحكم، الذي لا يدع للازدحام مكاناً". فقد خصص لكل شغل من هذه الأسماء الأربعة التي عليها مدار حركات الناس باباً، فالذين ينقلون أنواع الحبوب لأجل الطحن لهم باب المطاحن، و الذين يريدون

¹ - عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ج1، ص107.

² - ابن الصغير: المصدر السابق، ص29.

³ - البكري: المصدر السابق، ص66.

السفر أو عبور البحر إلى الأندلس من التجار و غيرهم لهم باب الأندلس، بينما المنشغلون بالعمل في البساتين و الحقول لهم باب المنازل، و الذين يريدون النزهة و الرياضة و تسلية النفس فلهم باب الصفا.¹ تميزت أبواب تيهرت بحسن الانتظام و الترتيب و كانت مصفحة بالحديد و لها مصاريع حديدية تعلق بها. و هذا ما يمكن استنتاجه من قول ابن الصغير عن الإمام أفلح بن عبد الوهاب: " و ابنتي قصورا و اتخذ بابا من حديد".²

ب - الأسوار:

تخطيط الأسوار³ ، والأبراج بمدينة تيهرت من جميع الجهات، ونجد أنها تفصل بين البادية والحقول الزراعية لتوفير الأمن فيها وحمايتها من الغزاة.⁴

انتهجت الدولة الرستمية سياسة المسالمة و حسن الجوار، كما عملت على تحصين مدينتها من أي خطر خارجي و تقوية ملكها و أمنها، حيث قال ابن الصغير عن عبد الرحمن ابن رستم " أنه أمر أن يجعل من معونة إباضية المشرق ثلثا في الكراع⁵ وثلثا في السلاح... واشتروا للقوم كراع و السلاح وقوي الضعيف ... وخافهم جميع من اتصل به ، وامنوا ممن كان يغزوهم من عدوهم و رأوا أنهم قادرون على غيرهم ومن كانوا يخافون أن يغزوهم... "⁶

تعتبر منطقة تيهرت قاعدة عسكرية محصنة بسور من حجر ذات قسبة محكمة، تستطيع من خلالها أن تصمد لكل هجوم قد يهدد المدينة من الخارج.⁷

¹ - جودت عبد الكريم: المرجع السابق، ص 34 .

² - ابن الصغير: المصدر السابق، ص 53.

³ - السور: يقصد به الأبنية فهو كل منزلة من البناء، ابن منظور: المصدر السابق، ص 287. انظر الملحق (04)، ص 113 .

⁴ - عبد العزيز فيلالي : تلمسان في العهد الزياني ، المرجع السابق ، ج 1 ، ص 107 .

⁵ - الكراع : اسم يجمع الخيل والسلاح وهنا نقصد به الخيل ، ابن منظور ، المصدر السابق ، م3 ، ص 1245 .

⁶ - ابن الصغير: المصدر السابق، ص ص 30-31 .

⁷ - رشيد بورويبة : المرجع السابق ، ج 3 ، ص 109 .

أصبح بناء الأسوار ضروري في المدينة، من أجل الاحتماء خلفها لأي خطر خارجي يلحق الضرر بالمدينة، وعليه وجب إحاطة كل مدينة تبرز إلى الوجود بسور¹.

يصف اليعقوبي العاصمة تيهرت لكن لم يشر إلى إحاطتها بسور²، كذلك نجد أن ابن حوقل لم يشر إلى محل وجود السور في تيهرت الحديثة نتيجة الظروف التي شهدتها أواخر الحكم الرستمي و خلال الحكم الفاطمي، و بقيت على ما وصفها، ليعاد بعد ذلك بناء سورها مرة ثانية، لكن بعد عودة الهدوء و الاستقرار إليها فيما بعد³.

بينما ابن الصغير يدل على أنها كانت محاطة بسور من خلال إشارته إلى أبواب تيهرت، و كما أيده البكري فقال: " مدينة تيهرت مسورة ولها أربعة أبواب " ⁴، وقال صاحب الاستبصار: " مدينة تيهرت وهي مدينة مشهورة قديمة وكبيرة عليها سور من صخر، ولها قسبة منيعة " ⁵ ويحتمل ان يكون قد بني من لبن وطين تأثرا بالفن المعماري القروي ⁶.

¹ - جودت عبد الكريم : الأوضاع الاقتصادية...المرجع السابق، ص 379 .

² - اليعقوبي : المصدر السابق، ص 358 .

³ - ابن حوقل: المصدر السابق، ص 86.

⁴ - البكري : المصدر السابق، ص 66.

⁵ - مؤلف مجهول : المصدر السابق، ص 66 .

⁶ - جودت عبد الكريم :العلاقات الخارجية، المرجع السابق، ص 66 . وذكر المقديسي أيضا أن " القيروان كان عليها سور من لبن وطين ، المقديسي، المصدر السابق، ص229.

ج - الحصون و القلاع .:

ذكر كل من اليعقوبي و ابن الصغير عددا من الحصون والقلاع المحيطة بها مثل : اسكدال¹ وتسلونت²، وكان هناك أيضا حصن " تالغمت "³ خارج المدينة، وكانت الحاجة الملحة إليها خاصة أثناء الفتن التي شهدها عهد الإمام أبي بكر⁴. ومن القلاع المنتشرة في المغرب الأوسط كانت " قلعة ابن هرب " و "قلعة مغيلة " ومنها حصن " برقجانة " المعروف بتيهert القديمة⁵.

وهكذا نستنتج أن الأئمة الرستميين وحكام تيهert اتخذوا القصور البديعة لسكناهم و أسسوا دولة شاملة وكافية بنت دعائمها على البر والإسلام وعملت على نشره وتعميم مظاهر الرفاهية و الرخاء.

¹ اسكدال : وهو بقبله تيهert على مسيرة يوم أو أزيد قليلا في مجتمع الإباضية، ابن الصغير ، نفسه ، ص 74 .

² تسلونت : هو على مسيرة أميال من حصن لواتة ومنه مخرج عيون نهر مينة الحاربي قبله تيهert ، كما يعرف أيضا بحصن تاملونت أو تماليت ويقع على طرف لواتة الذي نزل به أبو اليقظان أثناء الفتنة بين لواتة وهرارة ، ابن الصغير ، نفسه ، ص - ص 74، 93 .

³ تالغمت : لعلها هي القرية المعروفة بتلغमित في صحراء بين الأغواط وغرداية على نحو 90 كيلو متر ، ابن الصغير ، المصدر السابق ، ص 94.

⁴ حودت عبد الكريم : الأوضاع الاقتصادية : المرجع السابق ، ص 383.

⁵ ابن عذاري : المصدر السابق ، ج 1 ، ص ص 153 - 163 .

2- المنشآت الدينية

المساجد :

تتميز المدينة الإسلامية في المغرب الإسلامي عموماً، و المغرب الأوسط خصوصاً بسمات مشتركة و قواعد منتظمة في العمارة الدينية، و التقاليد المحلية، لان تشييد المدينة الإسلامية مرتبط بضوابط و شروط معمارية أساسية، مع ضرورة توفر بعض المعالم العمرانية وعلى رأسها المسجد الجامع الذي يعتبر النواة الأولى للمدينة، حيث يعد مركزاً هاماً في تفعيل النشاط العلمي وتلقي مختلف العلوم، لذا حرص الرستميون على الحفاظ عليه كونه ذو مكانة عالية في نفوس المسلمين، فلقد شغف الأئمة الرستميون بالعلم واهتموا به ، ومن هنا جاء حرصهم على إنشاء و بناء المؤسسات العلمية حتى تكون قادرة على البناء الحضاري في العالم الإسلامي ، وكما هو معلوم فان المسجد في ذلك الوقت يعتبر هو الجامعة التي تخرج منها العلماء ، فلم يغفل عبد الرحمن بن رستم على أهمية المسجد ، و دوره الفعال في النهضة العلمية، فكان أول ما بني في المدينة :المسجد¹، ويقع في وسطها وهو مكان لأداء فريضة الصلاة ومقر اجتماع سكان المدينة لتداول أمورهم الاجتماعية و الاقتصادية وتعليم أبنائهم مختلف العلوم العقلية والنقلية²، لقد كان ظهور المساجد قبل ظهور المدارس و الزوايا في المغرب الإسلامي عموماً ، حيث كان هو المؤسسة التي تستقبل الطلبة و المصلين في حلقات دراسية داخل المسجد، فكان بذلك مقراً للعبادة تلقى فيه دروس الوعظ و الإرشاد و الإفتاء و يجتمع فيه أصحاب المصالح العامة و الخاصة، كما كانت تقرا فيه البلاغات الرسمية للدولة ، و يجتمع فيه الأولياء لتدبير زواج بناتهم و أبنائهم، وتمضى فيه العقود التجارية وتؤخذ إليه الجنائز قبل الدفن للصلاة عليها³.

¹ - احمد سعيد الدرجيني: طبقات مشايخ المغرب ، تح : إبراهيم طلاي ، ج 1 ، ص 41 .

² - عبد العزيز الفيلاي: تلمسان في العهد الزياني، موفم للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 2002 ، ج 1 ، ص 106 .

³ - هوارية بكاي: العلاقات الثقافية بين الدولة المرينية والدولة الزيانية، رسالة ماجستير ، تلمسان، 2007-2008 ، ص 42.

خضعت مدينة تيهرت لمخطط معماري طبقت في أحكام الشريعة الإسلامية و قانون العمارة الإسلامية على غرار المدن الإسلامية، لهذا أول ما شيد فيها هو المسجد الجامع الذي تم اختيار مكانه عن طريق القرعة ، ويذكر أبو زكريا يحي في هذا الصدد : " قصدوا إلى اختيار محل ليؤسسوا فيه المسجد الجامع قبل كل شيء ، فاختاروا أربعة أماكن ورموا القرعة عليها ، فجاءت على المكان الذي أصلحوه للصلاة أيام إقامتهم في تنقية الأشجار¹.

ويذكر ابن حوقل : " تيهرت مدينتان كبيرتان إحداهما قديمة و الأخرى محدثة ، والقديمة ذات سور وبها جامع ، و في المحدثه أيضا جامع "²، ويقول المقدسي : " تاهرت اسم القصبه ... لها جامعان عن ثلثي البلد قد بني بالحجارة و الجير "³ ، ويقول ابن عذاري : " فنزلوا بموضع تيهرت ... فبنوا مسجدا من أربع بلاطات "⁴.

أما عن مواد المستعملة في بادئ الأمر كانت من الخشب، الذي جلب من غابات المنطقة ضف إلى المادة الطينية التي توفرت في المنطقة⁵، و هذا يدل على جودة و بساطة المواد المستعملة، لكن سياسة عبد الرحمن كانت قائمة على التواضع و التقشف، مما أدى إلى نقص هذه المواد. و فيما يتعلق بتخطيط المسجد الجامع، فيذكر البكري: " انه ظل على حاله إلى أيامه أو إلى أيام محمد بن يوسف، الذي نقل هو عنه مكونا من أربعة بلاطات "⁶.

¹ يحي بن أبي بكر أبي زكريا : المصدر السابق، ص 53 .

² ابن حوقل: المصدر السابق، ص 78.

³ المقدسي : المصدر السابق، ص 127 .

⁴ ابن عذاري المراكشي : المصدر السابق، ص 203.

⁵ ابن الصغير: المصدر السابق، ص 29

⁶ البكري: المصدر السابق، ص 63.

و الملاحظ أن الرستميين خرجوا عن قاعدة بناء دار الإمارة بعد المسجد الجامع، لكن ابن الصغير لم يشر إلى وجود دار الإمارة في تيهرت، إذ كان عبد الرحمن بن رستم يصرف أمور الرستميين في الجامع¹.

وبجانب مسجدها الجامع الموجود في المدينة، وجدت أيضا مساجد أخرى في الأحياء، و ينسب بعضها إلى الأقليات التي استقرت في تيهرت، و منها على سبيل المثال مسجد القرويين و مسجد الكوفيين و هذا ما يفهم من قول ابن الصغير: "...فكان مسجد للقرويين و للكوفيين و مسجد للبصريين"².

يذكر جودت عبد الكريم: انه بما أن كل جماعة تسكن منفصلة عن الأخرى، فكان لها مسجد خاص بها³، فان المساجد كانت متعددة و كثيرة، و هذا ما نفهمه من قول أبي زكرياء: " فشرعوا في تأسيسها و اختطوها بيوتا و قصورا و أسواقا و مساجد "⁴.

كما أن الفرق الدينية التي وجدت في تيهرت كان لكل منها مسجدها و علمائها و حلقات دروسها فقد ذكر ابن الصغير " ...من أتى إلى حلقات الإباضية ناظروه أطف مناظرة وكذلك من أتى الإباضية إلى حلقات غيرهم كان سبيله ذلك "، وقد وجد في تيهرت الأحناف، خاصة في عهد عبد الرحمن بن رستم، و غالبيتهم من أهل الكوفة حتى أنهم بنوا مسجدا خاصا بهم سموه مسجد الكوفيين⁵.

¹ ابن الصغير: المصدر السابق، ص 80.

² نفسه: ص 32.

³ جودت عبد الكريم: العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984م، ص 33.

⁴ أبو زكرياء: المصدر السابق، ص 53.

⁵ ابن الصغير: المصدر السابق، ص 80.

يمكن اعتبار العمائر الجنائزية ضمن العمارة الدينية مثل المقابر و المدافن خاصة وانه في تيهرت وجد مصلى خاص بالجنائز وهذا ما أشار إليه ابن الصغير في حديثه عن أبي اليقظان : " وقد جلس خارج المسجد الجامع مما يلي الجدار الغربي ، ورأيته يوما ثانيا في مصلى الجنائز ، فجلس ينتظر فراغ دفن رجل مات من وجوه الناس " ¹.

3- المنشآت المدنية:

و تشمل عدة معالم عمرانية و مرافق عمومية، و منها ما هو متعلق بالعمائر السكنية، مثل القسبة و الدور و القصور و الضياع، وما هو متعلق بالنظافة و الصحة كالحمامات، و منها ما يتعلق بالتجارة و المنافع العامة كالحانات و الخنادق و غيرها من المرافق و المنشآت الضرورية نذكر منها :
أ - القسبة:

تتكون القسبة في مدينة تيهرت من مباني خاص مرموقة، و هي الحي الذي يسكنه الامير او السلطان مع أسرته و حاشيته و جنده، كما تتوسط هذه القسبة المدينة، ولها ابواب خاصة بها.²
ذكر المقديسي: " أن تاهرت هي اسم لقسبة هي بلخ البحر"،³ و يضيف البكري: "أن لتاهرت قسبة مشرفة على السوق تسمى المعصومة"⁴. بينما صاحب الاستبصار جاء في حديثه: "مدينة تاهرت مدينة مشهورة قديمة كبيرة عليها سور، و لها قسبة منيعة تسمى المعصومة".⁵
و يشرح سليمان الباروني قول أبي إسحاق الفارسي عن تيهرت: " و مدينة كورة اسمها تاهرت و هي مدينة كبيرة".⁶

¹ ابن الصغير: المصدر السابق، ص 80.

² عبد العزيز فيلاي: المرجع السابق، ج 1، ص 107.

³ المقديسي: المصدر السابق، ص 229.

⁴ البكري: المصدر السابق، ص 66.

⁵ مؤلف مجهول: المصدر السابق، ص 66.

⁶ الكورة: اسم لكل صقع أي ناحية تشمل على عدة قرى، و لها قسبة أي مدينة ينسب ذلك الصقع كله إليها. ينظر، سليمان الباروني: المرجع السابق، ج 2، ص 27.

ب - القصور:

تتميز القصور في مدينة تيهرت بشكلها المعماري و طريقة بنائها و زخرفتها في الداخل و الخارج، و هذا ما يدل على المستوى الحضاري و العمراني الذي بلغه سكان المنطقة في تشييد هذه القصور، مما نتج عنه ازدهار و ثراء المدينة آنذاك، بالأخص في عهد الإمام أفلح، و لم يكتف الناس في بنائها داخل المدينة فحسب ، بل تنافسوا بشكل كبير في بناء القصور و الضياع¹ خارج المدينة.² كان للإمامين أبي بكر و أبي اليقظان قصر لكل منهما، ضف للقصر الخاص بأبي حاتم الذي كان قرب نهر مينة، إذ بنيت هذه القصور وسط البساتين و على ضفاف الأنهار ليعطيها جمالا و رونقا.³

يظهر الاهتمام و التنافس على بناء القصور من خلال ما ذكره ابن الصغير: " فابتنى إبان و حمويه القصرين المعروفين لهما بإملاق، و ابتنى عبد الواحد قصره الذي يعرف به اليوم، و قد حدثني بعض من أثق بهم أن إبان و حمويه خرجا يوما إلى قصورهما متنزهين و معهما جماعة إخوانهما، فذكر بعضهم انه قال، لما أشرفنا على القصرين سبق بنا بعض عبيدهما فاعلموا ناس القصرين بقدمهما، فو الله ما رأيت شرافة من القصرين إلا عليها ثوب احمر و اصفر على الجدار كالبدور، و انتشرت القبائل و عمرت العمائر، و كثرت الأمور بأيديهم، و كانت العجم قد ابنتت القصور و نفوسة قد ابنتت العدو و الجند القادمون من افريقية بنوا المدينة العامرة اليوم"⁴.

من خلال هذا النص نستنتج أن القصور تعددت في منطقة تيهرت ، حتى بالنسبة للعجم و للجنود الوافدين إليها من افريقية، كما أنها لم تخلو من المنتزهات .

¹ - الضياع: جمع ضيعة أي العقار و الأرض المغلة، و ما يكون منها عطية لبعض الناس من طرف الملوك يسمى قطيعة، كما كان يفعل بعض بني أمية و بني العباس، سليمان الباروني: المرجع السابق، ج1، ص ص 21-22.

² - ابن الصغير : المصدر السابق، ص 53.

³ - جودت عبد الكريم: المرجع السابق، ص ص 384 - 385.

⁴ - ابن الصغير: المصدر السابق، ص ص 53-54.

ج - الدور و المساكن:

تعددت الدور و المساكن في مدينة تيهرت بشكلها و طريقة بنائها و التي تختلف عن القصور في معمارها، و عليه كانت بعض المنازل تبنى بالطوب و أخرى بالحجارة المنحوتة، أما سقفها فكان من الخشب كبيت الإمام يعقوب بن أفلاح، إذ تميزت هذه المنازل بتلاصقها و بشكل جدرانها الخارجية و زخرفتها الخاصة بها و التي تختلف عن زخرفة القصور، تشقها الأزقة و الشوارع المؤدية إلى الساحة العامة، و يتكون سور الدار في الغالب من عدة حجرات، و لها أبواب من الخشب و هي ذات مصراعين، ليتمكنوا من إدخال الأحمال¹، ضف إلى ذلك فقد تألفت الدور من عدة بيوت، و في هذه الصدد يذكر ابن حوقل: "أن لسكان تاهرت مياه كثير تدخل عن أكثر دورهم"²، و بهذا نستنتج أن تيهرت اتسعت و تطورت بحيث ذكر ابن الصغير: "و اتسعوا في البلاد و تفسحوا فيها وأنتهم الوفود و الرفاق من كل الأمصار و أقصى الأقطار، ليس أحد ينزل بهم من الغرباء إلا استوطن معهم و ابنتى بين أظهرهم... حتى لا يرى دارا إلا قيل أنها لفلان الكوفي و هذه لفلان البصري و هذه لفلان القروي..."³.

د - الدروب:

كانت تيهرت كغيرها من مدن المغرب الإسلامي تحتوي على دروب و شوارع و ساحات عمومية و قد أطلق عليها أسماء الفئات التي تقطنها، مثل درب النفوسيين، و عدوة نفوسة و رحبة للقرويين⁴، و لعل ما يؤكد وجود هذه الدروب و الساحات وصف المقديسي لتيهت خلال القرن الرابع الهجري أي بعد سقوط دولة بني رستم، وذلك بعد أن فقدت تيهت جزءا هاما من سكانها و حضارتها

¹ - عبد الرحمن بن خلدون: المصدر السابق، ص 237.

² - ابن حوقل: المصدر السابق، ص 86.

³ - ابن الصغير: المصدر السابق، ص ص 31-32.

⁴ - سليمان الباروني: المرجع السابق، ص 83.

حيث قال: " انتعش فيها الغريب و استطابها اللبيب، يفضلونها على دمشق... و قرطبة... و من دروبها¹ المعروفة أربعة، درب "مجانة"²، درب "راها"، "درب حارة الخفير"، "درب البساتين".

و بهذه نستنتج أن للمدينة أربعة دروب أي شوارع رئيسية مجانة، راها، حارة الخفير، البساتين.

كما أن وصف المقديسي شاملا لتيهت رغم انه عرف بالاختصار في وصفه مدن المغرب الإسلامي لأنه لم يزرها، بل اكتفى بما وصله من مؤلفات المشاركة أو المغاربة الذين رحلوا للمشرق لان النص لا يرتبط بعصره بل بالقرن الثالث هجري و السابع ميلادي، الذي وصلت فيه الدولة الرستمية أوج قوتها، لكن في عصره عرفت هذه الدولة الحروب المتواصلة و دمرت منشآتها، و تحولت بعد ذلك من مدينة مزدهرة حضاريا و عمرانيا إلى ثكنة عسكرية، إلا أنها تحاف بمجموعة من الأحياء و كل حي يحتوي على مرافق و منشآت ضرورية تمثلت في الساحات العمومية و الأسواق و المساجد³، و في هذا الصدد ذكر ابن الصغير عن عهد افلح: " و آمنت الساحات و كثرت الأموال"⁴.

1 - الدروب : ويقصد بالدرب الشوارع الكبرى التي تتفرع عنها أزقة كثيرة ، وهذه لها أبواب تغلق بالليل . ويكون للحارات أبوابها وأسوارها كما للبلد . محمد علي دبوز : تاريخ المغرب الكبير ، ج 3 ، دار إحياء الكتب ، سوريا ، 1963 ، ص 271.

2 - مجانة : جاءت عند ابن الصغير في حديثه عن ابن وردة: "وكان الرجل من وجوه العجم الذين بقيت اليوم بقية تسمى من مجانة"، و يقول المحقق لعل المقصود بها مدينة مجانة في المغرب الأدنى، ابن الصغير، المصدر السابق، ص 54.

3 - المقديسي : المصدر السابق، ص 229 .

4 - ابن الصغير: المصدر السابق، 53.

هـ - الفنادق و الخانات:

ذكر أبي زكريا أن الرستمين شرعوا في تأسيس تيهرت و اختطوها بيوتا و قصورا و فنادق¹، أما الخانات² فوجد أن ابن حوقل هو الوحيد الذي أشار إلى وجودها في تيهرت، و التي تعود إلى الدولة الرستمية بحيث أن القوافل التجارية كانت تأتيها من المشرق و المغرب و بلاد السودان الغربي و الواحات الصحراوية مما يتطلب ضرورة وجود خانات لإقامة هؤلاء، و التي احتوت على غرف للسكن و مخزن للسلع و إسطبلات للمواشي³.

و من خلال ما ذكره ابن حوقل أن مرافق تيهرت الحديثة أكثر من الأولى، فهي تحتوي على مرافق عاصمة للدولة حيث يقول: "...و التجار و التجارة بتيهرت المحدثه أكثر و لهم... بساتين كثيرة... و خانات"⁴.

و - الحمامات و خزانات المياه:

يعد الاستحمام⁵ ظاهرة عرفت منذ القدم، و قد عرفته بعض الشعوب القديمة كالمصريين و الكنعانيين و اليونانيين و الرومانيين، ثم وصلت هذه الظاهرة إلى المسلمين مبكرا، لأن الإسلام يحث على الاغتسال و الطهارة، فكانت الحمامات غالبا ما تلحق بالبناءات الدينية و الاجتماعية⁶.

¹ - الفنادق لغة: يقصد بها الخان أي محل التجارة و في اصطلاح عصرنا يطلق على محل كبير ذي بيوت معدة لنزول المسافرين بالأجرة، و يختلف باختلاف المدن و البلاد في معداته و ترتيباته، سليمان الباروني، المرجع السابق، ج2، ص10.

² - الخان هو الخانوت و أماكن التجارة و محل نزول التجار الغرباء الذين يتاجرون فيه، علي دبوز: المرجع السابق، ج3، ص280.

³ - مختار حساني: موسوعة تاريخ و ثقافة المدن الجزائرية، ج4، ص دار الحكمة، الجزائر، 2007م، ص317.

⁴ - ابن حوقل: المصدر السابق، ص78.

⁵ - الحمام: لغة هو الماء الساخن، عطالله ذهينة، الحياة الاقتصادية و الاجتماعية لدولة بني زيان، ضمن كتاب الجزائر في التاريخ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، ص491. انظر الملحق رقم (04)، ص113.

⁶ - عبد العزيز فيلاي: المرجع السابق، ص-ص 139-140.

فاحتوت تيهرت على حمامات كثيرة بلغت اثني عشر حماما، و الذي ذكره البكري¹ وبتاهرت بساتين كثيرة و حمامات كثيرة يسمى منها اثنا عشر حماما و حواليها من البربر أمم كثير¹، ضف إلى ذلك ما ذكره ابن حوقل عن تيهرت: " ولهم (سكان تيهرت) بساتين كثيرة وحمامات"².

كما ساعد على كثرة انتشار الحمامات وفرة المياه في مدينة تيهرت ، بحيث أن المصادر التاريخية أكدت ذلك. فيقول ابن حوقل: " أن لسكان تيهرت مياه كثيرة تدخل على أكثر دورهم"³، الأمر الذي جعلهم يهتمون بغرس البساتين، وعليه فإن إياضي العراق في رحلتهم الثانية إلى تيهرت وجدوا الأمور قد تغيرت والأحوال المدنية قد حالت و ذلك أنهم نظروا إلى قصور قد بنيت و إلى بساتين قد غرست⁴، وأضاف المقديسي بقوله: " قد أحرق بها الأنهر"⁵، والتفت بها الأشجار وغابت في البساتين ونبعت حولها الأعين"⁶، ما يبين اهتمام سكان تيهرت بغرس الأشجار حول المدينة فزادت بها البساتين و هذه الظاهرة تكاد تكون عامة بالنسبة للمدن الجزائرية خلال العصور الوسطى وحتى الحديثة، فالبساتين كانت تزود تلك المدن بما تحتاج إليه من خضر وفواكه وحتى الحليب ومشتقاته لوفرة الأبقار والأغنام بتلك الضيعات وسائر غلاتها كانت مباركة⁷، وقد أضاف الإدريسي في ذلك بقوله: " ومدينة تيهرت مياه متدفقة وعيون جارية تدخل أكثر ديارهم ويتصرفون فيها"، وبذلك يظهر لنا أن سكان تيهرت قد استفادوا من هذه المياه الكثيرة، فأوصلوها إلى دورهم وأقاموا عليها بساتين و أشجار عن طريق قنوات وخزانات من الفخار المطلي.

¹ - البكري: المصدر السابق، ص-ص 68-69.

² - ابن حوقل: المصدر السابق، ص78.

³ - ابن حوقل: المصدر السابق، ص 86.

⁴ - ابن الصغير: المصدر السابق، ص 33.

⁵ - الأنهر: و قد جاءت في كلام ابن الصغير: " و اجرؤا الأنهر"، إلا أن الصحيح هو انهار و نهر و نهور، ابن الصغير: المصدر السابق، ص53.

⁶ - المقديسي: المصدر السابق، ص229.

⁷ - الإدريسي: المصدر السابق، ص 154.

وقد ساعد تزويد أهل تيهرت بالمياه انحدار الأنهار من أعالي الجبال وكثرة الينابيع والعيون، وهذا ما نستنتجه من قول اليعقوبي: "شرب أهل مدينة تاهرت من عيون يأتي بعضها من صحراء وبعضها من جبل قبلي يقال له جزول"¹، وقول البكري: "وهي في سطح جبلي يقال له جزول... و هي على نهر يأتيها من جهة القبلة تسمى مينة و نهر آخر يجري من عيون تتجمع تسمى تاتش، ومن تاتش شرب أهلها و بساتينها"².

ي - الأسواق:

ذكر البكري في كتابه "المغرب" عن أسواق تيهرت حيث قال: " و بتاهرت أسواق عامرة " ، وقال أيضا: " ولها قسبة مشرفة على السوق "³، أما المقديسي فقال: لها جامعان على ثلثي البلد... قربان من الأسواق "⁴ ، بمعنى أن الأسواق كانت قريبة من المساجد ، فالأسواق كانت كثيرة في تيهرت إلى درجة أن أطلقت أسماء بعض منها على الأشخاص كما ذكرها ابن الصغير " سوق ابن وردة "⁵، وبعض المدن التي نسبت إلى تيهرت مثل سوق ابن جبلة، وسوق إبراهيم⁶.
وعليه نستنتج أن انتشار الأسواق بمدينة تيهرت مرتبط بالحركة التجارية النشطة، والتي عرفتها المدينة خاصة باتجاه بلاد السودان الغربي.

¹ - اليعقوبي: المصدر السابق، ص 358.

² - البكري: المصدر السابق، ص 66-67.

³ - نفسه: ص 67.

⁴ - المقديسي: المصدر السابق، ص 229 .

⁵ - ابن وردة: وهو من العجم، وقد ابتنى سوقا يعرف باسمه، ابن الصغير: مصدر السابق، ص 54 .

⁶ - وهي مدينة صغيرة فيها حمام وسوق وهي على نهر الشلف، ابن حوقل: مصدر السابق، ص 78 .

4- الجانب الزخرفي لمدينة تيهرت الرستمية:

تعتبر مدينة تيهرت من بين مدن المغرب الأوسط تميزا في الجانب المعماري والزخرفي، بحيث إن البناء في منطقتها تميز أيضا بالبساطة و التواضع الذي يخلو من الزخارف في اغلب الأحيان، ومنه ما تم انجازه في مدينة سدراة من زخارف نباتية و هندسية و معمارية، إذ أصبحت العمارة في سدراة مصدر الهام لدى الباحثين، فيرى الدكتور عبد العزيز سالم إن الرستميين في تلك الفترة قد تأثروا بالفن العراقي الفارسي، وذلك من خلال ظهور تشابه بين زخرفة المسجد الجامع بالمدينة و بين قصر الاخضر بالعراق. و يضيف سعد زغلول أن هذه الزخارف هي بمثابة انعكاس لما وصلت إليه المباني العباسية بالرغم من بساطة البناء و تنوع مواده، كما استخدم في زخرفة العمارة الدينية الأعمدة و الفخار المطلي و الأطر المزخرفة بالإزهار في واجهات المآذن.

أما من ناحية العمارة المدنية بسدراة فقد شيدت العديد من القصور، التي تميزت بجدرانها المزينة بالجص المنقوش و غرف قصورها بأواوين¹.

و عليه نستنتج بأن الفن الزخرفي في المنشآت المعمارية في المغرب الأوسط، كان له تأثير كبير على مدنه، إذ عرفت هذه الأخيرة تطورات معمارية منذ تأسيسها و التي عملت على تلبية احتياجات سكانها و كما عكست عمارتها ما وصلت إليه في مجال البناء و الزخرفة.

¹ يمينة بن صغير حضري: خصائص العمارة الإسلامية بالمغرب الأوسط، مركز بحوث التراث و الحضارة، جامعة قناة السويس، 2018، ص ص 13-14.

ملخص الفصل الاول :

نشأت الدولة الرستمية على يد الإمام بن رستم سنة 160هـ/777م، باعتبارها أول دولة مستقلة في المغرب الأوسط وقد حظيت هذه الدولة بدراسات تاريخية وجغرافية كثيرة، منها ما تعلق بموقعها وأصل تسميتها وبنائها وعمارتها، وعليه فقد أطنب الرحالة والجغرافيين في وصفهم لمدينة تيهرت عاصمة الدولة الرستمية في المغرب الأوسط، في عدة جوانب منها الجانب المعماري إذ نجد أن العمارة في تيهرت قد لا تعطينا النتائج الدقيقة وبالأخص في تحديد أماكن الأحياء والدروب والقصور، بسبب زوال معالمها المعماري والتي امتازت بها في تلك الفترة، فنجد أنها قسمت من منشآت ومرافق عمومية إلى عمارة عسكرية ودينية ومدنية.

الفصل الثاني:

دراسة معمارية لمدينة بجاية

المبحث الأول : نشأة مدينة بجاية.

- 1- أصل التسمية.
- 2- ظروف بناء المدينة.
- 3- وصف المدينة من طرف الرحالة و الجغرافيين.

المبحث الثاني : التنظيم المعماري لمدينة بجاية

- 1 - المنشآت العسكرية
- 2- المنشآت الدينية
- 3- المنشآت المدنية
- 4- الجانب الزخرفي لمدينة بجاية العمادية

المبحث الثاني : نشأة مدينة بجاية

1- أصل التسمية

عرفت بجاية أسماء عديدة منها : بغايت¹، صلدة²، صلداي، قورايا³، الناصرية⁴، بوجي⁵، ورغم هذه الأسماء إلى أن اسم بجاية بقي متداولاً إلى يومنا هذا، إذ أخذت اسمها من القبيلة التي كانت تسكنها، ويقال أن اسم بجاية تحويل إلى كلمة بكاية (الناجين أو المنقذين) لكن هذه النظرية لم تؤكد، وعليه فإن الاسم لم يتغير رغم أن الناصر⁶، أطلق عليها اسم الناصرية عندما فتحها.

ويشير المؤرخ ابن خلدون أنها تنسب لقبيلة بربرية كانت تقطن هذا المكان، كما يعتقد بأن اسمها يعود إلى القبيلة الصنهاجية التي سكنت المنطقة، و التي يرجع اسمها في اللغة العربية إلى كلمة "بقايا" كما حملت اسم بانيتها "الناصر بن علناس وأصبحت تعرف بالناصرية⁷.

1- بغايت : حسب اللهجة البربرية تعني بجاية ، احمد الشتاوي ،إبراهيم زكي خورشيد : مراجعة : عبد الحميد يونس ، دائرة المعارف الإسلامية ، ج3 ، ص 315 .

2- صلداي : أسس الفينيقيون مدينة بجاية و أطلقوا عليها اسم صلدة، احمد الغبريني : عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء المائة السابعة بجاية، رابح بونار، المغرب الإسلامي تاريخه و ثقافته، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر، 1981، ص، ص 4-5 .

3- قورايا :اسم أطلقه الوندال على بجاية، وتعني الجبل و اتخذوها كعاصمة لقواعدهم بإفريقيا، السيدة عاملة : نظرة على تاريخ بجاية، مجلة الأصاله، العدد 19، ص84.

4 - بعدما فتح الأمير الحمادي الناصر بن علناس جبل كان به قبيل من البربر بنى مدينته سنة 460هـ/1169م،وسماها بالناصرية، ابن الأثير : المصدر السابق، ج8، ص 347.

5- بوجي : كلمة فرنسية وتعني الشمعة، اطلقها التجار غربي البحر الأبيض المتوسط على بجاية بسبب استيرادهم منها الشمع، إسماعيل عربي : دولة بني حماد ملوك القلعة و بجاية ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، ص 247.

6- هو الناصر بن علناس احد أمراء الدولة الحمادية و المؤسس الحقيقي للناصرية (بجاية) سنة 460هـ وتوفي سنة 481 هـ ، ابن الخطيب : المصدر السابق، ج3، ص 94.

7- ابن خلدون : المصدر السابق، ج6، ص 857.

إن اسم " صالداي " والناصرية قد اختفى في ثنايا الكتب، بينما اسم بجاية فقد كتب له الاستمرار، لأنه يلتصق بالبيئة المحلية كما يعبر عن المحتوى البشري للمنطقة خلافا لكلمة صالداي الفينيقية، أما الناصرية فقد إرتبطت بمؤسس المدينة مؤقتا، إذ يعبر عن الأولى التي لم تكن لها دخل في الأخرى¹.

2-ظروف بناء مدينة بجاية

إن الحديث عن بناء مدينة بجاية يقودنا إلى الحديث عن رحيل الحماديين من القلعة إلى بجاية ثم انتقالهم الرسمي في عهد المنصور بن الناصر كما يشير ابن خلدون²، إلا أن إنشاء المدينة كان في عهد أبيه الناصر بن علناس، وذلك بعد انهزامه في معركة "سببية" سنة 457هـ/م والتي أسفرت عن قوة بني هلال في المغرب الأوسط³، هذا ما دفع بالناصر إلى ترك قلعة بني حماد وتحويله إلى بجاية⁴، وهذا ما غير ان هذا الرأي يعتبر سببا ثانويا إلا أن السبب الرئيسي الذي ذهب اليه بورويبة، هو طموح الناصر بن علناس إلى فتح المهديّة، و دليل ذلك قلعة بني حماد لم تكن مهددة لا في عهد الناصر، ولا في عهد المنصور، بحيث أنها بقيت عاصمة ثانية للحماديين و بنيت فيها عدة مباني مشهورة، إذ أن عصر الانحطاط في القلعة سجل في عهد العزيز بن المنصور⁵، وعليه فإن أغلب الظن في تأسيس بجاية انه جاء كقاعدة لتوسيع سلطاتهم، وهذا ما أشار إليه ابن الأثير: حيث قال " ... أن الوزير الناصر بن علناس أبا بكر بن أبي الفتوح وأرسل رسولا من عنده إلى تميم يعتذر منه، ويرغب في الإصلاح فقبل تميم وأرسل إلى محمد ابن الناصر البعبع ... " ثم يذكر أن مبعوث تميم أرسل إلى الناصر وأسر إليه أن تميم مشغول ... ولو وصلت

¹ - موسى لقبال : مميزات بجاية وأهمية دورها في مسيرة تاريخ المغرب الأوسط في العصور الوسطى، مجلة الأصاله، العدد

19، 1974، ص 3.

² - ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 227 .

³ - بورويبة : المرجع السابق، ص 54 .

⁴ - ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 335 .

⁵ - بورويبة: المرجع السابق، ص 68.

بعسكرك ما بت إلا فيها أي " المهديّة " ... وأشير إليك بما تملك به المهديّة وغيرها وذكر له عمارة بجاية وأشار عليه أن يتخذها دار ملك ويقرب من بلاد افريقية ... فأجابه الناصر إلى ذلك ... وسار الرسول إلى بجاية ... فلما وصل الناصر إلى بجاية أراه موضع الميناء و البلد والدار السلطانية، فأمر الناصر من ساعته بالبناء ... "1. إذ لم يستطع فتحها في بداية الأمر إلا بعد أن يهجم عليها من جهة البر و البحر، لذلك اختار مرسى يكون بالقرب من افريقية،² بينما ابن الخطيب يرى أن السبب الذي أدى بالناصر لبناء بجاية كرهه أنها مجاورة بني حماد في القلعة المنسوبة إليهم حتى اتسعت مملكته و بايعه أهل القيروان سنة 460 هـ /م، كما قصده الشعراء و الأدباء³، لكن البعض الآخر يرى أن السبب في بنائها يرجع إلى خراب القلعة كنتيجة لمعركة سيبية، غير أن المؤرخ رشيد بورويّة يرى أن قلعة بني حماد كانت غير مهددة من طرف بني هلال و الدليل على ذلك حسب قوله : "أنها بقيت عاصمة ثانية للحماديين و أن الاميرين { الناصر و المنصور } شيئا فيها عدة مباني مشهورة"⁴، ويضيف ابن خلدون عن المنصور " كان مولعا بالبناء الذي حضر ملك بني حماد و تأنى في اختطاط المباني و تشييد المصانع و اتخاذ القصور و إجراء المياه في الرياض و البساتين "5.

¹ ابن الأثير : المصدر السابق، ج 12 ، ص 48 .

² بورويّة : الدولة الحمادية، المرجع السابق ، ص 68 .

³ ابن الخطيب :المصدر السابق، ص 94

⁴ بورويّة : المرجع السابق ، ص 69.

⁵ ابن خلدون : المصدر السابق ، ج 6، ص 67 .

3- وصف المدينة من طرف الرحالة والجغرافيين.

حظيت مدينة بجاية بأهمية تاريخية و حضارية في عصرها، فتعددت الروايات التاريخية في وصفها، إذ عمل كل مؤرخ على إبراز ذلك ضمن كتبه.

يقول البكري : "... ثم مرسى بجاية أزلية أهلة عامرة بأهل الأندلس، بشرقيها نهر تدخله السفن محملة، وهو مرسى مأمون... مرسى بجاية هو ساحل قلعة أبي الطويل، وجزيرة جربة قبل مرسى بجاية، ثم يلي مرسى بجاية، مرسى سببية"¹.

أما الإدريسي فيضيف بقوله : "مدينة بجاية على البحر لكنها على جرف حجر، ولها من جهة الشمال جبل يسمى "أمسيون" وهو جبل سامي العلو صعب المرتقى... ومدينة بجاية في وقتنا هذا مدينة المغرب الأوسط، وعين بلاد بني حماد"².

أما ابن خلدون فقال : "لما افتتح هذا الجبل، اختط به المدينة وسماها المنصورية، وتسمى عند الناس باسم القبيلة وهي بجاية و بنى بها قصر اللؤلؤة، وكان من أعجب القصور الدنيا، واسقط الخراج عن ساكنيها و انتقل إليها سنة واحد و ستين للهجرة ، وفي أيام الناصر هذا كان استفحال ملكهم"³.

بينما صاحب الاستبصار بالغ في وصفه لمدينة بجاية فقال : بجاية هي مدينة عظيمة على ضفة البحر، و البحر يضرب في سورها وهي محدثة من بناء ملوك صنهاجة أصحاب قلعة أبي الطويل، وانتقل ملكهم من القلعة إلى بجاية... بينها وبين قلعة بني حماد مسيرة أربعة أيام... ولها دار لإنشاء السفن وهي مرسى عظيمة تحط فيه سفن الروم... ومدينة بجاية كثيرة الفواكه و الثمار و جميع الخيرات ... وفيها قصور من بناء ملوك صنهاجة"⁴.

1 - البكري : المصدر السابق ، ص 82 .

2 - الإدريسي : المصدر السابق ، ص ص 90.91.

3 - ابن خلدون : المصدر السابق ، ص 226.

4 - مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص 128.

أما العبدري فذكر: "إن مدينة بجاية هي مبدأ الاتفاق و النهاية، وهي مدينة كبيرة حصينة، منيعة شهيرة، برية بحرية، غريبة المعاني، موضوعة في أسفل جبل وعر، مشرفة عليهما إشراف الطليعة، متحصنة بهما، منيعة، فلا مطعم فيها ولا محارب و لا متسع فيها لطاعن وضارب، ولها جامع عجيب منفرد في حسنه، من الجوامع المشورة، الموصوفة المذكورة وهو مشرف على برها وبحرها، وموضوع سحرها و نحرها فهو غاية في الفرجة و الأنس ، ينشرح الصدر لرؤيته وترتاح النفس"¹.

1- عبد الكريم عزوق : المعالم الأثرية الإسلامية ببجاية، ط 1، (د ب ن)، 2005، ص 28.

المبحث الثاني: التنظيم المعماري لمدينة بجاية

تعتبر مدينة بجاية في العصر الوسيط، من أزهى المدن الإسلامية التي لاقت اهتماما بالغا من طرف المؤرخين و الجغرافيين في تلك الفترة، خاصة الجانب المعماري و عليه تميزت هذه المدينة بمعالم معمارية تمثلت في المنشآت العسكرية و الدينية و المدنية، و ظلت بجاية مدينة عامرة و مزدهرة اتسمت بالتطور الحضاري و العمراني بين مدن المغرب الإسلامي و المغرب الأوسط خصوصا.

1- المنشآت العسكرية

تنوعت المعالم الحربية في مدينة بجاية من حيث بنائها و طريقة استعمالها عند الضرورة، إذ انشئت بغرض حماية سكان المدينة من الغزوات و الهجومات الخارجية، و وجدت هذه المباني في السواحل و في المدن، و قد تجلت فيما يلي:

أ - المداخل (الأبواب):

اتخذت الأبواب جانبا معماريا و ارتبطت بأسوار المدن الإسلامية، و كما تميزت بقوتها و حصانتها و توفير الأمن و الاستقرار بين السكان، و تجلت أهميتها في الاتصال بين العالم الخارجي و داخل المدينة. فتعددت هذه الأبواب و كانت لها تسميات نسبت لمهندسيها و حاكمها أو المدينة نفسها أو إحدى قبائلها، و من بينها مايلي:

باب البحر: و هو ضمن الأبواب السبعة التي تتخلل الأسوار المحيطة لمدين بجاية خلال العهد الحمادي، و أطلق عليه اسم "باب البحر" كونه مدخلا رئيسيا للسفن القادمة من البحر إلى المرسى الداخلي للمدينة، و بني هذا المدخل في عهد السلطان الناصر بن علناس حوالي 463هـ/1070م، فكانت السفن قديما تحط رحالها داخل المرسى الصغير للمدينة مارة تحت قوس باب البحر¹، و من الناحية المعمارية فالمدخل محصور بين السورين الجنوبي و الشمالي و هو قائم على دعامتين حجريتين

¹ -عبد الكريم عزوق: المرجع السابق، ص- ص 221-222، انظر الملحق رقم (07)، ص 116.

مبنيين بالدبش و الآجر، و يتقدم المدخل برجان مربعان بارزان عن مستوى الجدار، حيث استعملا لتشديد الرقابة عن الباب و يعلوه طريق المراقبة الدورية فوق القوس الذي يعلو المدخل مباشرة، و كان هذا الباب بعلاقة مع برج شوف الرياض الذي شيد في مرتفع استراتيجي، حيث أنه يشرف على ثلاثة مداخل رئيسية: باب البحر، باب البنود، باب المرسى¹.

باب البنود: يعرف حاليا بباب الفوطة، ويقع هذا الباب في الجهة الشمالية الغربية، كما يعتبر مدخلا رئيسيا للمدينة و الذي يؤدي إلى مقر السلطان، أما شكله المعماري أن الباب يحيط برجان الأول خماسي الأضلاع بينما الثاني فهو مربع القاعدة، و هما برجان بارزان على مستوى الجدار و تمثلت وظيفتهما في حماية مدخل الباب و الممر الذي يليه، فمكونات الباب كانت من طبقة متناوبة من الدبش و الحجر و كما يعلو البرجان أماكن لرمي القذائف من الآجر المسطح، و هذا البناء له دور و منافع في العمارة العسكرية ببلاد المغرب الأوسط الإسلامي².

و هناك أبواب أخرى في مدينة بجاية منها:

- **باب أمسيون:** يقع في السور الشرقي، و هو في منتصف الطريق المؤدي إلى سيدي يحي فوق المستشفى العسكري، و هذا الباب معروف الموقع حيث خلده ضريح أبي علي المسيلي.
- **باب المرسى:** يقع في منطقة بريجة السفلى، كما تعرف هذه الباب بإسم السادات، غذ كانت تقع في الطريق المؤدي على ميناء سيدي يحي.
- **باب اللوز:** و هو الباب الذي دخل منه بنو غانية المدينة، و استولوا على القصبية إذ يقع في المرتفع الذي يعرف بجبل خليفة و تقع في الجهة الغربية.
- **باب المرقوم:** الذي يعرف بباب البر و يقع فوق قبة سيدي امحمد أمقران، مع الطريق المؤدي لبرج موسى³.

¹ عبد الكريم عزوق: المرجع السابق، ص 222. انظر الملحق رقم (07)، ص 116.

² عبد الكريم عزوق: التحصينات الدفاعية، المرجع السابق، ص 79. انظر الملحق رقم (06)، ص 115.

³ عبد الكريم عزوق، المعالم الأثرية، المرجع السابق، ص 223. انظر الملحق رقم (10)، ص 119.

● باب دار الصناعة: لم يبق أثر لهذا الباب، بعدما استولى الإسبان على المدينة، و اعدوا بناء القصبة بحيث كان يفتح على حدائق المدينة و بسايتها.¹

و يمكننا القول بأن عدد أبواب مدينة بجاية لم تتعد السبعة أبواب، لكن أساميتها طرأت عليها تغييرات من فترة لأخرى غير ان البابين اللذين لا زالا قائمين هما: باب البحر و باب البنود.

ب - الأسوار و الابراج :

يعتبر السور عنصرا دفاعيا مهما في المدينة، ما جعل سكان المدينة يشيدونه حولها و كما كانت لها ابواب مزودة بشرفات في اعلاها، وبأماكن خاصة للدفاع ، ونجد أن هذه التحصينات بمثابة دليل كاف عن حرمة المدينة الإسلامية.²

بجاية من بين أهم المدن التي مازالت تحتفظ بأسوارها والتي تعود للفترة الحمادية الأولى هـ/ 1067م، عندما أصبحت المدينة عاصمة ثانية للدولة الحمادية، و اصبحت من الضروري بنائها لحماية المدينة، كما بني سور جديد خلافا للسور الروماني القديم، فاستخدم الناصر آلاف العمال و استعان بهم في بناء السور خلال فترة قصيرة وكان يعلوه أبراج ، ضف إلى ذلك أنه بني بطريقة تدريجية من القمة إلى الأسفل، ولكنه يختفي في الأسفل بجبل قورايا في الصخور الشديدة الإنحدار.³

إن أسوار بجاية كانت مبنية بالحجر والدبش و الآجر، وهذا الدبش عبارة عن دقائق الآجر المغطى بطبقة من الجير و الاسمنت ثم تخلط بالحجارة المنحوتة من الآجر⁴، مما يدل على أن الحماديين أن قد إهتموا بالجانب الدفاعي، و هو بنائهم و تشييدهم لتلك الاسوار، فكان تحديد الفضاء العمراني وتأمينه هو الأساس في مدينة بجاية ، لأن موقع بجاية الجبلي هو الذي حدد الشكل العام للسور و ساير مواقعها.

¹ - عبد الكريم عزوق، المعالم الأثرية، المرجع السابق، ص 224.

² - رشيد بورويبة: المرجع السابق، ص 39.

³ - عبد الكريم عزوق: المعالم الأثرية... المرجع السابق ، ص 215.

⁴ - نفسه، ص - ص 216-217.

ج - الابراج داخل مدينة بجاية:

برج سيدي موسى :

يعتبر من احسن البروج التي لازالت محافظة على شكلها المعماري، وقد بني برج موسى على انقاض قصر النجم الذي شيدها المنصور، وهو من ضمن القلاع الهامة في بجاية ويتكون البرج من طابق ارضي يحوي ثلاث أفنية كبيرة والطابق الاول يتخلله قاعة كبيرة بها فتحات للإضاءة و التهوية أما الطابق الثاني فقد أضيف له غرف بالجهة الغربية تغطي سقف المدخل و القبو بينما الطابق الثالث يتكون من خمس غرف ويوجد بها فتحات للمراقبة و الفحص محاطة من الجهة الجنوبية والشرقية والغربية بسور صغير، وتتميز جدران الحصن بالسماكة و الحصانة¹.

برج شوف الرياض:

وهو برج يحرس ثلاثة ابواب منها باب البنود، و بقمة هذا البرج توجد آلة بمرايا تستعمل للمراسلة مع بروج مماثلة مبنية في المدن الحمادية الرئيسية الاخرى، و في الليل كانوا يستعملون النيران، و لذلك ألقى على هذا البرج اسم المنارة².

د - الحصون:

حصن القصبة : يذكر حسن الوزان على ان الاسبان بعدما دخلوا مدينة بجاية قاموا بتحسين قلعة قديمة بجانب باب الصناعة، و لعل المقصود بها قصبة بجاية اليوم³، و يغلب الظن ان عمارة القصبات قد ظهرت في بلاد المغرب الاسلامي وقد تكون قصبة بجاية حيا من الاحياء التي ذكرها المؤرخون، وبقدم الحملة الموحدية تحولت الى قصبة، وهي مقر الحكم عند الموحدين، ثم اصبحت بعدها مقرا

1- عبد الكريم عزوق: التحصينات الدفاعية الاسلامية ببجاية، مجلة دراسات و ابحاث، العدد 12، 2013م، ص 75، انظر الملحق رقم (09)، ص 118.

2- رشيد بورويبة: الدولة الحمادية... المرجع السابق، ص 202.

3- حسن الوزان: المرجع السابق، ص 51، انظر الملحق رقم (08) ص 117.

للدولة عند الحفصيين، فموقعها انها تشرف على البحر من جهة ومحمية من ناحية البر من جهة ثانية، كما كانت محمية عن طريق الابراج المنتشرة عبر السور، بحيث كانت القصبه مبنية على حجر اساس كبير على شكل مداميك رومانية قديمة واسوارها مزودة بأبراج وحصون، وتعتبر قصبه بجاية من الحصون الرئيسية وهذا بفضل موقعها على هضبة مرتفعة، فكان للقصبه بابان : واحدة رئيسية تؤدي الى المدينة والاخرى ثانوية تؤدي الى السهول المحيطة بها، فالقصبه كانت نموذجا حيا للعمارة الدفاعية في بناء مدينة بجاية¹.

حصن سيدي عبد القادر :

يعرف أيضا بإسم " حصن البحر " اذ كان برجاً للمراقبة يقع في الحدود الجنوبية الشرقية لمدينة بجاية وهو يقع على هضبة صخرية متخذاً شكل مستطيل تقابله واجهته الجنوبية جهة البحر مشكلة عرض المستطيل، اما واجهات الحصن من الخارج فكانت مسطحة و خالية من الفتحات الخارجية، وعليه فقد كان للحصن موقعا استراتيجيا لأنه كان يحمي قصر اللؤلؤة خلال العهد الحمادي². وكما يختلف هذا الحصن بشكله عم حصن القصبه و حصن برج موسى من حيث الشكل و التخطيط³.

2-المنشآت الدينية

المساجد :

إن الحديث عن المساجد في بجاية هو محور حياة المسلمين لأنهم أولوا له اهتماما كبيرا وقد أكد ابن خلدون على أهمية المسجد بقوله : " أعلم أن الله سبحانه وتعالى فضل من الأرض بقاعا اختصها بتشريعه وجعلها مواطن للعبادة يضاعف الثواب وتنمو فيها الأجور"⁴، فمدينة بجاية امتازت كغيرها من

¹ - عبد الكريم عزوق: التحصينات الحربية... المرجع السابق، ص 76.

² - علي خلاصي: التنظيمات و المنشآت العسكرية الجزائرية في العصر الحديث، اطروحة لنيل شهادة الدكتوراه دولة في الآثار الاسلامية، جامعة الجزائر، 2004م، ص 308.

³ - عبد الكريم عزوق: التحصينات الحربية... المرجع السابق، ص 80.

⁴ - ابن خلدون: المقدمة، ص 323.

المدن بمباني دينية خلال الفترة الوسيطية، وقد كان في تلك الفترة حوالي ثلاثة وسبعين مسجدا كالمسجد الأعظم ومسجد الريحانة ومسجد النطاعين، وكما ذكر حسن الوزان: "إن بها جوامع كافية ومدارس يكثر فيها الطلبة و الأساتذة بالإضافة إلى الزوايا الصوفية"¹.

الجامع الأعظم:

وهو الذي بناه المنصور بن علناس و سمي باسمه " المسجد المنصوري " كما سمي أيضا بالجامع الأعظم حيث يعود تاريخ بنائه إلى القرن 5 هـ / 11م، وقد ذكره العبدري وهو معجب به من خلال رحلته عندما مرّ ببجاية فقال: "... ولها جامع عجيب، منفرد في حسنه غريب، من الجوامع المشهورة، الموصفة المذكورة، وهو مشرف على برّها وبحرها و موضوع بين سحرها و نحرها، فهو غاية في الفرجة و الأنس، ينشرح الصدر لرؤيته و ترتاح النفس، وأهلها يواضبون على الصلاة فيه مواظبة رعاية، ولهم في القيام به تهمم وعناية، فهو بهم مأهول وعامر، يتخلل أنسه مسلك الأرواح"².

هذا التعريف يجعلنا نرجح أن وجود الجامع الأعظم في ساحة قصر الكوكب الذي كان متصلا بحومة اللوز التي تحتفظ باسمها وموقعها إلى يومنا هذا.³ وقد أفادنا فيرو في كتابه عن بجاية بوصف مفصل لهذا المسجد فكان واجهة مزينة بسبعة عشر عقدا وباب كبير على يمينه و يساره ألواح رخامية مزينة بكتابات رائعة الشكل وبجانب هذا الباب الرئيسي كان للمسجد اثني وعشرين بابا آخر، احدهما يؤدي إلى بيت الصلاة المخصصة للنساء.⁴ فالجامع الأعظم احتل مكانة مرموقة بين الأقطاب الدينية المنتشرة بالمغرب الإسلامي لأنه أعظم بناء ديني.

1- حسن الوزان:المصدر السابق، ص 50.

2- العبدري : المصدر السابق، ص 83 .

3- الشيخ المهدي بوعبدلي: تاريخ المدن، جمع و إعداد: عبد الرحمن ذويب، عالم المعرفة للنشر و التوزيع، ط1، وزارة المجاهدين، الجزائر، ص516.

4- رشيد بورويبة: المرجع السابق، ص 208.

مسجد ملالة:

ملالة هي إحدى القرى التابعة لإقليم مدينة بجاية، وكان لهذه القرية دورا مهما في قيام الدولة الموحدية، حين التقى المهدي ابن تومرت بعبد المؤمن بن علي بإحدى مساجدها، علما أن بجاية آنذاك كانت مدينة كبيرة ومركزا حضاريا متألقا، هذا ما جعله يبدأ دعوته من هناك،¹ فقد ذكر البيدق في حديثه عن بناء مسجد ملالة فقال: " أن أبناء العزيز لما رأو ابن تومرت بملالة قالوا له: " يا فقيه نريد أن نبني لك مسجدا هنا فقال لهم: إن شئتم، وأقبل الطلبة يصلون إليه من كل مكان"²، وكما ذكر المراكشي: " أن المسجد كان يحمل اسم ابن تومرت وكان مازال موجودا في عصره ولكنه لم يعرف تاريخ بنائه"³.

مسجد سيدي عبد الحق ببجاية:

ينسب هذا المسجد إلى الشيخ الفقيه أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله بن إبراهيم الاشبيلي {570هـ/582هـ}، والذي خلدت بجاية اسمه بمسجد مازال قائما إلى يومنا هذا⁴، فهذا المسجد عبارة عن مصلى كان يدرس فيه الفقيه، و يتكون أيضا من قاعدتين وأبواب وكانت أبوابه من خشب وبها مدخل خاص بالإمام من الخارج⁵.

كما هناك مساجد أخرى في بجاية كمسجد المرجاني الواقع بحومة اللؤلؤة، و جامع القصبة الذي درس فيه المعافري ومسجد النطايعين⁶.

¹ - أبو بكر الصنهاجي المكنى بالبيدق: المصدر السابق، ص 52.

² - نفسه: ص 13.

³ - المراكشي: المصدر السابق، ص 181.

⁴ - محمد الشريف واشق: نظرة تاريخية حول الحركة الثقافية في مدينة بجاية، مجلة الصومام، عدد خاص بملتقى الفكر الإسلامي التاسع عشر، بجاية، 1985م، ص 28.

⁵ - عبد الكريم عزوق: المرجع السابق، ص 64.

⁶ - الغبريني: المصدر السابق، ص 59.

3- المنشآت المدنية :

تزخر مدينة بجاية بمعالم سكنية مختلفة من قصور و مساكن و مرافق مدنية للحياة العامة غير أن هذه المباني أشاد بها الكثير من المؤرخين و الرحالة.

أ- الأحياء:

كان بمدينة بجاية ساحا كبيرة و حومات، إذ كانت المدينة مقسمة إلى واحد و عشرين حيا،¹ و من بين هذه الحومات: حومة باب أمسيون، حومة المذبح ، و حومة بالبساط الأموي، و حومة رابط المتمني، و حومة بئر مسفرة². ضف إلى حومة اللؤلؤة و هي حومة الشرشور الحالية و التي توجد داخل باب أمسيون و موقعها الحالي قشلة-معسكر- و عند آثار باب حي الزياتين المؤدي إلى باب المرسي الذي لازالت آثاره. ثم إن كثيرا من سكان حي الشرشور من الأسر البجائية القديمة و مازالوا يحتفظون بعقود أملاك تثبت هذه التسمية³.

ب - القصور:

يعود إنشاء القصور بمنطقة بجاية إلى العهد الحمادي وقد أشاد المؤرخون و الشعراء بها، وبأنها من عجائب ما رأت عين الإنسان في مجال العمارة المدنية، وذكر صاحب الاستبصار: أنه ببجاية قصور من بناء ملوك صنهاجة لم ير الرءون أحسن منها بناء ولا أنزه موضعا⁴، ومن بين القصور التي تواجدت بمدينة بجاية هي

1- احمد الشتاوي، إبراهيم خورشيد: المرجع السابق، ج3، ص 351.

2- الغريبي: المصدر السابق، ص- ص 11- 59 .

3- الشيخ العبدلي: المرجع السابق، ص 520.

4- مؤلف مجهول: المصدر السابق، ص130.

قصر اللؤلؤة :

يذكر ابن خلدون أن الناصر بنى قصر اللؤلؤة وكان من أعجب قصور الدنيا، وذكر أيضا المباني التي قام بتشييدها و ترميمها المنصور بن الناصر فقال: "إن المنصور بنى قصر اللؤلؤة و قصر أميمون" ¹، إذ بني سنة (470هـ-1077م)، ² و تم توسيعه وترميمه في عهد إبنه المنصور، ³ ويضيف صاحب الاستبصار أن هذا القصر: "يحتوي على شبايك حديدية و أبواب مخزومة منحنية و المجالس المبنية حيطانها بالرخام الأبيض من أعلاها إلى أسفلها" والتي " قد نقشت و أنزلت بالذهب و اللآلئ و قد كتبت في الكتابات المحسنة وأنزلت بالذهب و صورت فيها الصور الحسننة فجاءت من أحسن القصور و أتمها منتزها و جمالا" ⁴. و أما ناحيته المعمارية انه امتاز بالعلو فقد كانت تكسوه صفائح معدنية كرصاص، و أما سقفه فزين بمنظر طبيعية، وأبوابه كانت مغرمة ومصفحة بالذهب، ضف إلى أنه يشتمل على بساتين ورياض بديعة، ويذكر دوبيلي نقلا عن البجاوي: "أن قصر اللؤلؤة شرع البناء فيه خلال عهد الناصر بن علناس أما إتمامه فقد تأخر إلى 449هـ/1100م أي بعد وفاة الناصر ⁵، أما قصر اللؤلؤة فكان واقع في مكان تكن و المستشفى العسكري ⁶.

كما بنى المنصور قصر بلارة، نسبة إلى عروسه بلارة بنت تميم بن المعز، و كذلك قصر العروسين ⁷.

¹ - ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص357.

² - عبد الحليم عويس: بجاية الجزائرية و حاضرة المغرب العربي لثلاثة قرون، (ب د ن)، (ب د ط)، ص167.

³ - الهادي روجي: الدولة الصنهاجية تاريخ إفريقيا في عهد بني زيري من القرن 10 إلى 12م، تر: حمادي الساحلي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ص325.

⁴ - مؤلف مجهول: المصدر السابق، ص131.

⁵ - عبد الكريم عزوق: المعالم الأثرية... المرجع السابق، ص161.

⁶ - رشيد بورويبة: المرجع السابق، ص246.

⁷ - عبد الحليم عويس: بجاية الجزائرية... المرجع السابق، ص167.

قصر الكوكب :

ذكر الأستاذ بورويبة نقلا عن مخطوط البجاوي أن المنصور بنى القصر الذي يوجد فيه عرشه، وهو معروف بقصر الكوكب، وهذا القصر من أجمل قصور العالم، أما من حيث بنائه فكان عاليا و مزين بصور مرسومة بحجر الرنج، و نباته اسمه الرحق يدقان معا و يزينون الجدران بهما بعد دقها و هذا القصر يلمع مثل أشعة الشمس فكان له تسعة أبواب ذات مصراعين من الخشب المنقوش، ولا يفتح كل واحد منها إلا إذا دفعه عدة رجال أقوياء في الطابق الأول توجد غرف " 1.

وحسب فيرو كان قصر الكوكب يشغل مكان برج موسى الذي أسسه الإسباني " بيدرو نافارو" في القرن السادس، ولكن حسب البجاوي كان يقع بين القصبية و برج موسى و قصر أميمون هو الذي كان في مكان برج موسى، وأضاف حسن الوزان عن هذا القصر قائلا: " من جهة الجبل نرى حصنا صغيرا محاطا بأسوار و مزينا بالفسيفساء و الخشب المنقوش". 2.

قصر أميمون :

لم يبق من هذا القصر غير ما تبقى من سور بجي أميمون حاليا، وله انكسار على شكل برج³، و يذكر عبد الكريم عزوق نقلا عن حسن الوزان: " من جهة الجبل نرى حصنا صغيرا محاطا بأسوار، و مزينا بالفسيفساء والخشب المنقوش"⁴، وهذا الوصف يسمح لنا بالقول بان ما تبقى في حي أميمون قد يكون بقايا السور المحيط بالقصر سابقا، علما أن حي أميمون يقع أسفل جبل قورايا⁵.

¹ - رشيد بورويبة: المرجع السابق، ص 246.

² - مولاي بلحميسي: عدد خاص ببجاية عبر العصور، مجلة الأصاله، ص 129.

³ - عبد الكريم عزوق: المرجع السابق، ص 161.

⁴ - رشيد بورويبة: المرجع السابق، ص 246.

⁵ - عبد الكريم عزوق: المرجع السابق، ص 162.

قصر المنصور :

وهو من أجمل قصور بجاية، فالشاعر ابن حمديس خصص قصيدتين لوصف قصر المنصور، فعبّر

عنه في أول الأمر عن جمال هذا القصر وقارنه بالمباني المشهورة التي شيدها العرب فقال :

قصر لو أنك قد كحلت بنوره أعمى لعاد إلى المقام بصيرا

نسي الصحيح من المليح بذكر وسما ففاق خورنقا و سديرا¹

أما القصيدة الثانية الأخرى ذكر ابن حمديس لمعان القصر و ارتفاعه:

وكأنه من درة شفافة تغشى العيون بشدة اللمعان

لا يرتقي الراقي إلى شرفاته إلا بمعراج من اللحظان

عرج بالناصرية كي ترى شرف المكان وقدرة الإمكان²

ومن عجائب القصر ذكر أبوابه الخارجية و الداخلية و ساحاته المفرشة بالرخام و سقفه المزين

بصور الحيوانات و بساتينه فقال ابن حمديس وهو يصف الأبواب الخارجية المزينة بالأسد :

عضت على حلقاتهن ضراغم ففرت بها أفواهاها تكسيرا

فكأنها لبدت لتهصر عندها من لم يكن بدخوله مأمورا .

¹ رشيد بورويبة: بجاية الحمادية... المرجع السابق، ص 246.

² نفسه، ص 247.

وقال أيضا في الأبواب الداخلية المصفحة بالبتر :

مصفح الأبواب تبرا نظروا

بالنقش فوق شكوله تنظيرا

تبدو مسامير النظار كما علت

تلك النهود من الحسان صدورا.¹

أما الساحات المفرشة بالرخام فقال :

بمرخم الساحات تحسب انه

فرش المهاد وتوشح و الكافور

ومحصب بالدر تحسب تربة

مسكا تزوع نثره و عبيرا.²

فكانت تلك هي مميزات قصر المنصور التي وصفها ابن حمديس في أشعاره كما أضاف أيضا سقف

القصر الذي قال عنه الشاعر الصقلي الذي كان مزينا بصور الحيوانات :

وإذا نظرت إلى غرائب سقفه

أبصرت روضا في السماء نظيرا

و عجبت من خطاف عسجده التي

حامت لتبني في ذراه وكورا.³

أما إذا خرجنا من قصر المنصور نجد بساتين عامرة بالإزهار و الأشجار في وسطها بركة محاطة بتمائيل

تمثل مختلف الحيوانات.⁴

¹ - نفسه: ص 248.

² - رشيد بورويبة: المرجع السابق، ص 247.

³ - نفسه، ص 248.

⁴ - نفسه : ص 248.

ج - الأسواق:

هي المجال التي تتم فيه العمليات التجارية من بيع وشراء إما من حيث هيكل السوق في فهو عبارة عن مجموع من الحوانيت، والمصانع إضافة إلى المخازن التي تكون مخصصة لحفظ السلع المختلفة¹، كما ورد في قوله تعالى {... وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَ يَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا... }² وقد تعددت الأسواق ببجاية الحمادية، فكان بها خمسة أسواق مشهورة، سوق قيسارية، وسوق باب البحر، وسوق الصوافين، وسوق بجانب حومة المذبح. وكان هذا الأخير سوقا لتجارة العبيد³، أما سوق باب البحر فيبدو انه كان سوقا لبيع الخمر لان المهدي الموحد لما وصل هناك أهرق الخمر و قال المسلم تمار و الكافر خمار⁴.

وعلى غرار هذه الأسواق هناك أسواق أخرى منتشرة بالمدن، و القرى (بونة وباغايا وسطيف ومجانة...)، وسميت الأسواق ببجاية الحمادية اليوم الذي تعقد فيه كسوق الاثنين، وسوق الأحد وسوق الخميس وغيرها، وقد كان لهذه الأسواق دور فعال في تنشيط الأسواق البجائية ووفود التجار، ومنها ما ذكره الإدريسي عن الأسواق القريبة من بجاية قائلا: " والطريق من مدينة بجاية إلى القلعة يخرج إلى مضيق سوق الأحد، وسوق الأحد وصفه بأنه رخيص في الأسعار، وسوق الخميس الواقع من حصن تاكلات وتاذرفت إلى حصن بكر وهو الذي كثير البيع والشراء⁵.

¹ - محمد بن ساعو: التجارة و التجار في المغرب الإسلامي القرن (6-9)/(12-15)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، جامعة باتنة، 2013م-2014م

² - سورة الفرقان: الآية (6-7).

³ - الغريبي: المصدر السابق، ص 250.

⁴ - البيذق: المصدر السابق، ص 13.

⁵ - الإدريسي: المصدر السابق، ص 262.

د- السقايات:

تمركز مدينة بجاية تمركزها بالقرب من منابع المياه، تعتبر عاملا أساسيا لجذب للإنسان، فالماء هو الحياة مصداقا لقوله تعالى: «وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا»¹، وعليه فإن تواجد السقايات بمدينة ضروري و لها نظامها الخاص ، يعبر عن تجدر الصفات و الأخلاق الإسلامية لدى سكان المنطقة بحيث وصفت بعدم الاختلاط، كما انتشرت بكثرة على حافة الطريق و الأحياء فكان يوجد حيا بأكمله يحمل اسم خمسة عيون، نسبة لعدد السقايات التي كانت به.

فالسقايات كانت عبارة عن ماء يتدفق من أعلى الجبل فيصب في حوض مائي أما الفائض منه فكان يستغل عبر القنوات سقي البساتين، فسقايات بجاية تجلت بالبساطة في أشكالها وعمرائها على عكس السقايات المشرقية، فالسقايات كانت تتوسط القرية و أحيانا أخرى نجدها بمحاذاة التجمعات السكنية².

الآبار:

وهي المكان الذي يجلب منه الناس الماء لأشغالهم اليومية كما كان في مدينة بجاية بعض الآبار منها مايلي:

آبار السلام :

أحدث هذا البئر في عهد الدولة الحمادية ، حيث كان زوار مدينة بجاية يتوضعون منها قبل دخولهم المدينة وهذا البئر يقع عند مدخل المدينة في الناحية الغربية حيث ذكر الورثاني إلى أنها المكان الذي يلتقي فيه الناس و ذلك بقوله : " فلما وصلت بئر السلام مشرفا على المدينة المذكورة ..."، أما

¹ - سورة الأنبياء: الآية (30).

² - عبد الكريم عزوق: المرجع السابق، ص- ص 196-198.

من ناحيته المعمارية فإن البئر يعلوها قبة صغيرة تتركز على أعمدة، وترتكز بدورها على فوهة البئر، و الفوهة مبلطة بحجارة ملساء شبيهة بالرخام.¹

آبار ملالة :

شيّد في منطقة ملالة مكان التقاء المهدي بن تومرت مع عبد المؤمن بن علي، كان بها بئران احدهما يسمى (بئر خروبة) و هي بئر بسيطة لا ترقى في عمارتها و شكلها العام إلى بئر السلام، أما البئر الثانية فتسمى (بئر الأسد) و قد كان شكلها مشابها للبئر الأولى.²

4- الجانب الزخرفي لمدينة بجاية الحمادية:

لقد اهتم الحماديون بفن الزخرفة المعمارية اهتماما كبيرا بحيث شاعت شهرتهم و بلغت الأندلس فظهر الفن الحمادي في عدة أشكال مختلفة و اعتبر كفن متقدم بملامح عربية إسلامية و بربرية أيضا ويدل ذلك على تقدم كبير في هذا الفن و غيره من الفنون كالرسم والنقش³، ومن بين الزخارف التي تميزت بها بجاية هي الزخرفة الهندسية، و التي شاع استخدامها بشكل خاص في القصور لأن الأمراء الحماديون كان من بين اهتماماتهم تزيين القصور بأبهى حلة فاستخدموا في زخرفتها الرخام و الذهب و اللازورد و كذا الفسيفساء و الخشب المنقوش، فذكر صاحب الاستبصار وهو مندهش من روعة قصورها قائلا: " لم ير الرائون أحسن منها" ووصف زخرفتها أيضا: "و الأبواب المخرمة و المجالس المبنية بالرخام الأبيض، وقد نقشت و أنزلت بالذهب و اللازورد"⁴.

ومن بين قصورها أيضا قصر الكوكب الذي تحدث عنه بوروية في كتابه قائلا: " إن قصر الكوكب من أجمل قصور العالم، فهو مزين بتصاوير مرسومة بحجر الرنج و نبات اسمه الرجق يدقان معا و

¹ - نفسه، ص 198.

² - نفسه، ص 199.

³ - إسماعيل عربي: دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1980، ص 127.

⁴ - مؤلف مجهول: المصدر السابق، ص 21.

يزينون الجدران بها وكان يلمع مثل أشعة الشمس"، وكذا قصر موسى او برج موسى الذي كان مزينا بالفسيفساء و الخشب المنقوش¹.

فكل هذه الزخرفة لم تقتصر على القصور فقط بل حتى المساجد كان لها نصيب أيضا فزينت هي أيضا بالرخام فكان للمسجد الأعظم حفا منها، فقال بورويبة: "على يساره ألواح رخامية مزينة بكتابات رائعة، وأرضه مفرشة بالرخام و جدرانه مغطاة بالزليج"².

ومن خلال هذه العناصر الزخرفية التي امتازت بها بجاية يظهر لنا ان الفنان الحمادي كان يسعى لاستغلال جميع التصميمات الهندسية في إضفاء الطابع الزخرفي الجمالي على المباني، مهما كانت المادة المنفذة عليها.

¹ - بورويبة: المرجع السابق، ص 246.

² - المرجع نفسه: ص 208.

ملخص الفصل الثاني:

تعتبر مدينة بجاية من بين مدن المغرب الإسلامي، التي اختلف المؤرخون و الجغرافيون في تسميتها، و وصفها إذ أن لكل مؤرخ نظرتة الخاصة بها، لأنها كانت من أبهى مدن المغرب الأوسط فسميت "لؤلؤة المغرب"، كما قال عنها ابن فكون:

دع العراق و بغداد و شامها فالناصرية ما إن مثلها بلد¹

أولوا سلاطينها اهتماما كبيرا بالهيكلية المعمارية للمدينة، فساهموا في بناء المدن و تشييدها وحصنوها بأسوار وأبراج وكذا الأبواب، كما عمروها بالمساجد التي كانت النواة الأولى للمدينة، ضف إلى المنشآت المعمارية المائية التي امتازت بالإبداع مما زادها رونقا وتألقا.

وعليه فإن المكانة التي بلغتها مدينة بجاية في فن العمارة جعلها حاضرة شاركت بها في سير الحضارة والعمران في المغرب الأوسط.

¹ - رشيد مصطفىاوي: بجاية في عهد الحماديين، مجلة الاصاله، العدد 01، 1971م، ص 84.

الفصل الثالث:

الدور الحضاري والمعماري لمدينتي تيمهرت وبجاية

المبحث الأول : مدينة تيمهرت حضاريا و معماريا

1- الجانب السياسي

2- الجانب الاقتصادي

3- الجانب العلمي و الفكري

4- الجانب المعماري

المبحث الثاني: مدينة بجاية حضاريا و معماريا

1- الجانب السياسي

2- الجانب الاقتصادي

3- الجانب العلمي و الفكري

4- الجانب المعماري

المبحث الأول: مدينة تيهرت حضاريا و معماريا

1- الجانب السياسي:

تمثل الدولة الرستمية أبرز حركة استقلالية مبكرة بالمغرب الأوسط والتي أسسها عبد الرحمان بن رستم سنة 160هـ. 777م ، وعاصمتها مدينة تيهرت، والذي كان له الدور البارز في بناء هذه الدولة و إدارة شؤون الرعية فيها، فبعد مبايعته بالإمامة من طرف الإباضية عين أول أمام للدولة الرستمية في المغرب الأوسط،¹ إذ ظهر الاستقرار السياسي في عهده من خلال إقامة العدل و المساواة و الانسجام المتبادل بين طبقات المجتمع، باختلاف عناصر سكانهم و لغاتهم و عاداتهم، فسلم عهده من الفتن السياسية و القلاقل الاجتماعية.²

تعاقب الأئمة الرستميون على سلطة الدولة الرستمية حتى سقوطها ووصلوا إلى أحد عشر إماما من بني رستم، ويمكن القول بان عبد الرحمن بن رستم إستطاع في فترة قصيرة من تأسيس دولة قوية قائمة بكيانها ، واتصالها بجيرانها للصدقة وحسن الجوار ، فهاجر إليها المعمرون من المشرق والمغرب والأندلس³، كما تمكن بذلك من خلق حالة من الاستقرار السياسي بين دولته الناشئة و بين سائر القوى السياسية الأخرى في المغرب الأوسط⁴، إلى جانب ذلك فقد وضعت مع إمامة عبد الرحمن بن رستم بذرة القضاء في الدولة الرستمية، و الذي يصنف في المرتبة الأولى بعد الإمامة مباشرة، و يمثل القضاء الطبقة الأولى في ترتيب الموظفين الرئيسيين، من عمال الإمام و أعوانه، و نجد بأن الإمام نفسه

¹ - مجاز إبراهيم: الدولة...، المرجع السابق، ص 99- 100 .

² - عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، د ط، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2011، ص 421.

³ - سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب الكبير، ج 2، ص 550.

⁴ - عيسى الحريري: المرجع السابق، ص 108.

كان القاضي الأول في الدولة الرستمية، و إن تميز الرستميون عن غيرهم، بأن كان إمامهم قاضيا في فترة الولاية بالقيروان.¹

وفي هذا الصدد تبين أن عهد عبد الرحمن بن رستم كان له دور سياسي هام ساعد على إرساء قواعد الحكم في الدولة الرستمية، مع النظر والتفقد المستمر لشؤون الرعية وما يخدم العاصمة تيهرت، كما أعطى نوعا من الاستقلالية للمغرب الأوسط و هياً لقيام دولة مستقلة في المشرق لها كيائها السياسي و الاقتصادي و الاجتماعي، و هذا ما شجع بطريقة غير مباشرة على قيام دول مستقلة أخرى كالدولة الزيديّة، و كما تعتبر أول دولة للمذهب الإباضي في المشرق و المغرب.

2- الجانب الاقتصادي:

أ- الزراعة:

شهدت الدولة الرستمية حياة اقتصادية تميزت بالتحسن و الازدهار في كل من الزراعة، الصناعة، التجارة، و كما حظيت أقاليمها بالأخص العاصمة تيهرت باهتمام كبير من طرف الجغرافيين الذين عاصروا تلك الفترة²، فامتلك الرستميون يمتلكون أراضي شاسعة مع وفرة المجاري المائية المحيطة بالمدينة، إذ أنها تقع بين نهرين عظيمين يصبان في واد يجري من ينابيع جبل سوفجج³، ضف إلى الأمطار الغزيرة التي كان لها دورا مهما في تكوين السهول الخصبة بالمغرب الأوسط، فعمل الرستميون على استغلال هذه المياه المتدفقة عن طريق شق قنوات لصرفها و لتسهيل عملية اتصالها بالبساتين و الحقول، و بذلك تنوعت المنتوجات الزراعية و على رأسها الحبوب، إذ اشتهرت هذه المنطقة بإقليم زراعي خصيب و بساتين و مزارع كثيرة، حتى أطلق عليها اسم: عراق المغرب.⁴

1- إبراهيم بحاز: القضاء في المغرب الإسلامي (من تمام الفتح حتى قيام الخلافة الفاطمية: 296هـ - 715م)، دار الياقوت

للطباعة و النشر، الأردن، 2001

2- إبراهيم بحاز، المرجع السابق، ص199.

3- سليمان الباروني: المرجع السابق، ص7.

4- عيسى الحريري: المرجع السابق، ص231.

و يقول ابن عذاري في ذلك: "كان حولها بساتين من كل أنواع الثمار و كثيرة الأشجار، و هي شديدة البرودة و الأمطار".¹

يعتبر الموقع الإستراتيجي الذي تميزت به تيهرت بمثابة عامل أساسي و نقطة التقاء القوافل التجارية من كل الاتجاهات، بالإضافة إلى عامل آخر و هو كثرة المنابع و خصوبة ضواحيها²، لهذا أقام الحكام في تيهرت خزانات و أحواض للمياه كانت محكمة البناء و الهندسة، لتسهيل عملية إيصال الماء إلى المناطق المرتفعة في فصل الصيف ووقت الجفاف، و هي موجودة بكثرة،³ و في هذا الصدد يقول الإدريسي: " و بمدينة تيهرت مياه متدفقة و عيون جارية تدخل أكثر ديارهم و يتصرفون فيها".⁴

فالدولة الرستمية بتنوع أقاليمها و بشساعة مساحتها الجغرافية شهدت زراعة مزدهرة و متنوعة، فذكر الإصطخري: " إن تربة تيهرت خصبة واسعة البرية و الزروع و المياه"⁵، و يضيف أحد المؤرخين حول زراعة تيهرت بأن بها: " جميع الثمار و سفرجلها يفوق سفرجل الآفاق حسنا و طعما و مشما و سفرجلها يسمى بالفارس"، من هذا القول يتبين أن منطقة تيهرت منطقة زراعة الحبوب لوفرة المياه فيها و لبرودة المناخ، و كذا موقعها بجانب التلال الصالحة للزراعة.⁶

و هكذا جمعت هذه المنتوجات الزراعية بين المزروعات التلية و الصحراوية، لأنها تقع بين الجبال و بمحاذاة الصحراء في وقت واحد.⁷

¹ - ابن عذاري، المصدر السابق، ج 1، ص 198.

² - رشيد بورويبة و آخرون: المرجع السابق، ص 110.

³ - إبراهيم مجاز: المرجع السابق، ص 217.

⁴ - الإدريسي: المصدر السابق، ص 87.

⁵ - الإصطخري: المصدر السابق، ص 20.

⁶ - إبراهيم مجاز: المرجع السابق، ص 201.

⁷ - صالح معيوف مفتاح: جبل نفوسة و علاقته بالدول الرستمية من منتصف القرن الثاني هجري إلى أواخر الثالث هجري، مؤسسة تاوالت الثقافية، د م، د ط، 2006، ص 43.

و قد كان لتطور العلوم أثر على تطور الزراعة بما توصلوا إليه من أنواع المنتوجات و طرق الري و التحكم في المياه، هذه الخيرات التي توارثها سكان المغرب الأوسط عبر تاريخه الطويل، و التي انتقل البعض منها إلى مدينة سدراتة بعد سقوط الدولة الرستمية و أصبحت جنة حقيقية بالصحراء، لقدرتهم الكبيرة على التحكم في كمية المياه و اختيار أحسن المحاصيل الزراعية لكل منطقة، إذ بعد مرور قرن من الزمن أنشئت مدينة سدراتة سنة 296هـ/909م بجنوب المغرب الاوسط و غرب وارجلان من طرف الإباضيين، الذين فروا من تيهرت بعد سقوط الدولة الرستمية على يد الفاطميين، فعرفت هذه المدينة تطورا عمرانيا في مختلف الميادين¹.

ب- الرعي:

اهتم الرستميون بتربية المواشي و ذلك لكثرة المراعي الخصبة في المدينة، فهي تسير جنبا إلى جنب مع الزراعة²، فانتشرت النطاقات الرعوية الواسعة و التي بدورها دعمت اقتصاد الدولة بثروات وفيرة ملأت أسواقها بمنتجات حيوانية³، من دواب و مواشي، كما كثر بتيهت البقر و الغنم و الخيل⁴، فكانوا يربونها ثم يصدرونها إلى الدول المجاورة و استغلال صوفها في الصناعة النسيجية و في صناعات أخرى، و يذكر ابن حوقل في هذا المجال قائلا: " من أحد معادن الدواب و الماشية و الغنم و البغال... "5.

تعود أسباب تربية الحيوان في مدينة تيهرت إلى توفر الأمن و التفقد المستمر من طرف الحاكم مع وجود خيرة من الأعوان لهذه المواشي، ضف إلى ذلك طبيعة المناخ، إذ كانت

¹- يمينة بن صغير حضري: خصائص العمارة الإسلامية بالمغرب الأوسط، مركز بحوث التراث و الحضارة، جامعة قناة السويس، 2018، ص6.

²- إبراهيم مجاز، المرجع السابق، ص220.

³- محمد عيسى الحريري: المرجع السابق، ص232.

⁴- مبارك المليي: المرجع السابق، ج2، ص76.

⁵- ابن حوقل: المصدر السابق، ص86.

معظم مناطق تيهرت رعوية و كثيرة الغنم والماشية.¹

و منه نستنتج أن مدينة تيهرت قد عرفت نشاطا واسعا في مجال الزراعة و الرعي بفضل عوامل ساعدتها على التقدم و الازدهار منها اتساع رقعتها الجغرافية و ملائمة مناخها، كما أشاد الجغرافيون بتنوع و جودة المنتجات الزراعية، لأن الرستمين شجعوا الزراعة و اهتموا بالماشية، و كان لهذين النشاطين الزراعي و الرعوي أثره البارز في الصناعة الرستمية و الحركة التجارية.²

ج- الصناعة:

عرفت مدينة تيهرت نشاطا اقتصاديا مهما تمثل في الصناعة التي لها دور كبير في تلبية حاجيات و متطلبات الأفراد مع ضرورة توفر المادة الخام، التي تستعمل في مختلف الصناعات التي تعددت في المنطقة كالصناعة الصوفية ، الحريرية، الكتانية، ضف إلى ذلك تعدد المناجم التي أمدت الصناع بحاجاتهم ولوازم صناعتهم.³

كان للنشاط الصناعي أهمية بالغة في تيهرت خلال العصر الوسيط، لحاجة الناس إليها بمختلف طبقاتهم، فنجد أن الصناعة النسيجية اشتهرت بشكل كبير بسبب وفرة المادة الخام كصناعة الصوف⁴، كما عرفت المنطقة انتشارا واسعا للصناعة بمختلف أنواعها⁵، و من حيث بساطة موادها ووفرته⁶، ضف إلى ظهور صناعات أخرى كصناعة الأنسجة، الصناعة المعدنية، الخشبية، الفخارية، الحيوانية من

¹ - جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية...، المرجع السابق، ص 65.

² - إبراهيم بحاز: المرجع السابق، ص 227.

³ - محمد عيسى الحريري: المرجع السابق، ص 232.

⁴ - جودت عبد الكريم: المرجع السابق، ص 89-90.

⁵ - محمد عيسى الحريري: المرجع السابق، ص 231.

⁶ - جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية... المرجع السابق، ص 19.

مختلف جهات البلاد¹، فكانت مدينة تيهرت قبلة لمختلف الصناعات، و من أهم الصناعات التي ميزتها و التي ارتبطت بالزراعة و تربية الماشية.

صناعة أدوات الزراعة ، وتمثلت في صناعة المحارث ، المناجل ، الفؤوس وغيرها من الأدوات الزراعية البسيطة، كذلك نجد الصناعات الزراعية، منها صناعة زيت الزيتون و طحن القمح، و ذلك لتوفر الزيتون و الحبوب في بلاد المغرب الأوسط وخاصة في جبل نفوسة².

ومنه يتبين بأن الصناعة في مدينة تيهرت كان لها دور فعال و أهمية بالغة في تطورها و ازدهارها، حيث كانت تصدر العديد من المنتوجات باتجاه بلاد السودان و المناطق المجاورة.

د- التجارة الداخلية و الخارجية:

يعتبر موقع تيهرت نقطة اتصال و التقاء مختلف القوافل التجارية القادمة إليها من كل أقطار البلاد العربية الإسلامية، كما كان لكثرة المنابع و خصوبة الأرض دور في تنشيط هذه الحركة³، بالإضافة إلى مساهمة الأئمة الرستميين في تفعيل هذه الحركة التجارية و ازدهارها، إذ نجد أن الإمامين عبد الوهاب و أبي حاتم تاجران، و كانا يجران القوافل الآتية إلى منطقتهم من المشرق⁴، كذلك دور سكان الإباضية في إنعاش التجارة بمختلف منتجاتها في المغرب الأوسط و منطقة الصحراء، فجمعت بذلك فئات كبيرة من التجار الذين وجدوا الأمن و الاستقرار في ظل الأئمة الرستميين⁵، كما عرفت المنطقة ظهور قوافل تجارية منظمة إلى بلاد السودان، و غيرها من العلاقات و المبادلات التجارية مع الأقطار المشرقية كمصر و غيرها، والتي امتازت بحسن المعاملة، فكانت القوافل التجارية تذهب بالصادرات و ترجع محملة

¹ - يعقوبي: المصدر السابق، ص100.

² - إبراهيم مجاز: المرجع السابق، ص231.

³ - عبد الرحمن الجيلالي: المرجع السابق، ج1، ص233.

⁴ - ابن الصغير: المرجع السابق، ص91.

⁵ - حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب... المرجع السابق، ص120.

بالواردات¹، و قد استغل الرستميون هذه الحركة في نشر الدين الإسلامي و في نفس الوقت تنظيم الحركة التجارية، فساهموا بذلك في وضع قوانين تجارية تجارية تضبط هذه الحركة، و يكون لها أثرا اقتصاديا على كل المناطق التي نشر بها بالمغرب الأوسط شمالا و جنوبا.

و عليه نستنتج أن مدينة تيهرت قد شهدت تجارة داخلية و خارجية واسعة، اتسم دورها بالمعاملات الحسنة و المبادلات التجارية المنظمة، مما دفع بها إلى الاستقرار و الازدهار.

هـ- التنظيم المالي:

عرفت الدولة الرستمية تنظيما اقتصاديا مهما من حيث وجود بيت المال و دار الزكاة، اللتان كان لكل منهما مهام خاصة في مقر عاصمة الدولة تيهرت²، و قد تعددت هذه البيوت في عهد الإمام عبد الرحمن بن رستم، حيث يذكر ابن الصغير: "... و بيوت أمواله ممتلئة³"، و من موارد جمع الأموال الإعانات الخارجية من أتباع الإباضية خاصة بجبل نفوسة، باعتبارها أول الموارد التي ساعدت عبد الرحمن بن رستم و أعوانه في بداية قيام الدولة الرستمية، و كذا إنشاء مشاريع من أجل تنمية و تطور هذه المدينة⁴.

أما المورد الثاني للأموال فيرتبط بالتجارة و الزراعة، ففي مجال التجارة يقول ابن الصغير: " و استعملت السبل إلى بلد السودان و جميع البلدان من مشرق و مغرب بالتجارة و ضروب الأمتعة"⁵، و قد ساعدها على ذلك موقع الدولة الرستمية حيث تمكنت من السيطرة على الطرق التجارية المؤدية إلى

¹ - محمد علي دبوبز: المرجع السابق، ج3، ص281.

² - إبراهيم بحاز: المرجع السابق، ص334.

³ - ابن الصغير: المصدر السابق، ص35.

⁴ - قدور وهراني: جوانب من التاريخ الاجتماعي و الاقتصادي لمدينة تيهرت من خلال ابن الصغير المالكي، مجلة ثقافتنا للدراسات و البحوث، جامعة وهران، الجزائر، مج5، العدد20، 2010، ص169.

⁵ - ابن الصغير: المصدر السابق، ص36.

مختلف الاتجاهات، و جعلها مركزا هاما خلال قرن و نصف من الزمن تقريبا¹، بالإضافة إلى الإعانات الخارجية كانت من الموارد التي ساعدت الإمام عبد الرحمن بن رستم و أعيان الإباضية، على إنشاء مشاريع من أجل التنمية و التطوير²، إذ شهدت منطقة المغرب الأوسط نوعا من الاستقرار و سيادة الأمن في عهد بن رستم، كما كانت قوة عسكرية و اقتصادية ميزتها عن باقي الدول المستقلة الأخرى في المغرب الأوسط، مما أتاح لها أن تفرض وجودها كقوة سياسية لها تأثيرها و أمنها على المنطقة و ضواحيها³.

كما شكلت الزراعة و تربية الماشية للرستميين موردا ماليا خدمهم بشكل كبير، ضف إلى الموقع الاستراتيجي المتميز⁴، بينما المورد الثالث فتمثل في الصدقات، و في هذا الصدد يقول ابن الصغير: " و أصحاب شرطته و الطائفون به (أي عبد الرحمن بن رستم) قائمون بما يجب و أهل الصدقة على صدقاتهم يخرجون في أوان الطعام فيقبضون أعشارهم في هلال من أهل الشاة و البعير، و يقبضون ما يجب على أهل الصدقات لا يظلمون و لا يظلمون⁵"، و كما كان بجانب بيت المال دار الزكاة، إذ تشير المصادر في ذلك بأن رجال نفوسة هم من يشرفون على مسؤولية بيت المال في المدينة⁶، فمن بين موارد المال عند المسلمين: الزكاة، الجزية، الخراج، العشور، بحيث كان الناتج من أموال الجباية و الصدقات توزع على الفقراء و المحتاجين، بينما رواتب و رجال الإدارة و العمال فكانت تدفع من مال الجزية و خراج

¹ إدريس صالح الحرير: العلاقات الاقتصادية و الثقافية بين الدولة الرستمية و بلدان جنوب الصحراء الكبرى في نشر الاسلام، مجلة البحوث الإسلامية، العدد1، 1983، ص75- ص87.

² علي رؤوف المالكي: الموارد المالية و الأوضاع الاجتماعية لتاهرت، العدد 32، ص 208.

³ سوادي عبد محمد، صالح عمار الحاج: دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، ط1، 2004، ص 90.

⁴ إحسان عباس: المجتمع التيهرتي في عهد الرستميين، مجلة الأصالة، الجزائر، العدد45، 1985، ص42.

⁵ ابن الصغير: المصدر السابق، ص15.

⁶ الشماخي: المصدر السابق، ص192.

الأرض¹، و منه يمكن القول أن المهتمين بذلك أعطوا نموذجاً رائعاً لكيفية جمع و تصريف الأموال على أسس دينية.

3- الجانب العلمي و الفكري:

عرفت مدينة تيهرت ازدهارا في الجانب العلمي و الفكري بفضل تشجيع الأئمة الرستميين، الذين كان لهم الدور الكبير في ذلك فأنشئوا المراكز و المؤسسات التعليمية، و في مقدمتها المسجد الجامع، الذي أدى دورا تثقيفيا و تعليميا بارزا فهو أول ما بناه الإمام عبد الرحمن بن رستم في المدينة سنة (160هـ-771م²)، لتعقد بعدها حلقات علمية متعددة و متسلسلة ارتبطت بالمذاهب و الفرق³، خاصة المذهب الرسمي لمدينة تيهرت و هو المذهب الإباضي، الذي عمل عليه الأئمة الرستميين الأوائل الذين تعاقبوا على الحكم الرستمي⁴، كما مرّ التعليم في المسجد بجانبين، فالجانب الأول أطلق عليه باسم الكتاب بينما الثاني فعرف بحلقات العلم في المسجد⁵، و في هذا الصدد يقول ابن الصغير: "و كانت مساجدهم عامرة و جامعهم يجتمعون فيه"⁶.

فنشطت المناظرات الفقهية و الكلامية في المساجد، و التي انسجمت بدورها مع الحياة الفكرية و الثقافية في المدينة⁷، و من أهمها مناظرة بين علماء الإباضية و المعتزلة⁸، و كان الإمام عبد الوهاب⁹

¹ - عيسى الحريري: المرجع السابق، ص 229.

² - إبراهيم مجاز: المرجع السابق، ص 385.

³ - نفسه، ص 389.

⁴ - عبد الحميد حاجيات: المرجع السابق، ص 73.

⁵ - إبراهيم مجاز: المرجع السابق، ص 386.

⁶ - ابن الصغير: المصدر السابق، ص 57.

⁷ - إبراهيم مجاز: المرجع السابق، ص 338.

⁸ - المعتزلة: هم من سمو بالواصلية أصحاب واصل بن عطاء البصري (80هـ-131م)، رأس المعتزلة و ذلك لاعتزالهم عدة مناظرات و حروب و وقائع، ينظر: محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة، ص 117.

⁹ - الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم: (171هـ-208هـ) ثاني الأئمة الرستميين، و واحد من العلماء العارفين بعلوم الدين و الدنيا، ينظر: أبي زكريا، المصدر السابق، ص 56.

عضوا في إحدى جلساتها¹، وكما ظهرت في المدينة الكتابية و هي المكان المخصص لتعليم الصبية²، و هي أيضا من أبرز أنواع التعليم الابتدائي من حيث الدروس الدينية و تعلم مبادئ اللغة العربية، حفظ القرآن الكريم ، الأحاديث النبوية الشريفة عن طريق التكرار وراء شيخ الحلقة³، إذ يقول ابن زكريا: "...فقرأ و حفظ، فلما اشتد و بلغ الحلم، سولت له نفسه طلب العلوم"⁴، منه يتبين بأن مرحلة التعليم الابتدائي في الكتابية هي بمثابة النواة الأولى المكتملة لمهمة المساجد.

شهدت مدينة تيهرت من جانب آخر علوما مختلفة منها العلوم النقلية من التفسير، الحديث، الفقه، أما العلوم النقلية فتمثلت في النحو و الأدب العربي و النثر و الشعر، ضف العلوم التطبيقية كالطب و الحساب و الفلك و علم التنجيم، و تزامنا مع ظهور هذه العلوم فقد برز علماء تخصصوا في شتى العلوم و الفنون⁵، و من هذا المنطلق جاء دور الأئمة الرسميين في الجانب العلمي و الفكري، و كذا الاهتمام بالمظاهر الثقافية الأخرى في المجتمع الإباضي⁶.

أما المكتبات فكان لها دور بارز في تنشيط الحركة العلمية و الفكرية في تيهرت و المغرب الأوسط، و كان الأئمة الرسميين يجلبون الكتب من المشرق، و اشتهروا بتأليف مختلف فنون العلم لاهتمامهم بالكتب و المؤلفات⁷، و من بين أشهر المكتبات في الدولة الرسمية مكتبة المعصومة التي بدورها تضمنت ما يقارب ثلاثمائة ألف مصنف في شتى العلوم، فكانت غالبية كتبها من تأليف علماء و

1 - عيسى الحريري: المرجع السابق، ص236.

2 - الفيروز أبادي: القاموس المحيط، تح انس محمد الشامي و زكريا جابر احمد، دار الحديث، القاهرة، 2008، ص1392.

3 - إبراهيم بحاز: المرجع السابق، ص387.

4 - أبو زكريا: المصدر السابق، ص134.

5 - الباروني: الأزهار...، المرجع السابق، ج2، ص209.

6 - الشماخي: المصدر السابق، ص193.

7 - إبراهيم بحاز: المرجع السابق، ص403.

أئمة المذهب الإباضي¹، إلا أن الشيعة² على يد الدولة الفاطمية قاموا بإحراق كتبها و تخريب كل ما يتعلق بالفكر الإباضي و بمدينة تيهرت³.

إن التطور الفكري الذي عرفته الدولة الرستمية انتشر إلى المناطق التابعة لها خاصة بالجنوب بمنطقة وادي ريغ و وادي مية (وارجلان)، فكانت مراكز إشعاع عليها و كان من نتيجة ذلك تبنيها للفكر الإباضي، بعد سقوط الدولة الرستمية و انتشار نظام العزابة بمنطقة وادي ريغ.

4- الجانب المعماري:

الدولة الرستمية هي أول دولة مستقلة بالمغرب الأوسط، و إثر الوضعية السياسية التي شهدتها فرضت على الإباضية ضرورة إقامة مدينة تأويهم و يتحصنون بها⁴، إذ خرجت طائفة من العارفين بشؤون الأرض ليرتادوا موضعا صالحا لإنشاء هذا المشروع الكبير المكتمل في بناء مدينة خاصة بهم، فاختاروا موضع تيهرت، و التي بنيت سنة (161هـ/777م) حسب رواية ابن عذاري⁵، فعمل سكانها و على رأسهم الإمام عبد الرحمن بن رستم على تعميرها بمختلف المرافق الحربية و الدينية و المدنية، و عليه فقد اشتهرت المدينة بعد البناء بتعدد الأبواب الرئيسية الكبرى وهي: باب الصفا المخصص للنزهة والرياضة و تسلية النفس، باب المطاحن المخصص للحبوب و طحنها، باب المنازل المخصص كذلك للعاملين في البساتين، بينما باب الأندلس و الذي خصص للسفر أو عبور البحر من التجار⁶، بالإضافة إلى ذلك تشييد الأسوار و الأبراج و الحصون من كل جهات المدينة، والتي بنيت من الطين و اللبن تأثرا

1- محمد علي دبوز: المرجع السابق، ص332.

2- الشيعة: هي من أقدم المذاهب السياسية الإسلامية، و سمو بذلك الاسم نسبة لتشيعهم لعلي "كرم الله وجهه"، ظهرت هذه الحركة في بلاد المغرب على يد أبي عبد الله الشيعي، و لهم عدة فرق و التي دخلت بلاد المغرب، الإسماعيلية، ينظر، أبو زهرة، المرجع السابق، ص30.

3- الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص95.

4- الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص41.

5- ابن عذاري: المصدر السابق، ج1، ص71.

6- جودة عبد الكريم: المرجع السابق، ص34.

بالفن المعماري القروي¹، لكن الوظيفة الأساسية التي تجمعهم هي حماية المدينة من الغارات و الغزوات الخارجية مع توفير الأمن و الحماية فيها.

اتسمت المنشآت الدينية في تيهرت بعمارة المساجد الإسلامية، و في مقدمتها المسجد الجامع و الذي يعد النواة الأولى في المدينة و أول ما بني فيها²، باعتباره المؤسسة الدينية و التعليمية التي يجتمع فيها الطلبة و المصلين في حلقات دينية و دراسية كما كان مقرا للعبادة. بحيث استعمل في بنائه مادتي الخشب و الطين و المتكون من أربع بلاطات³، إلى جانب ذلك فقد تعددت مساجد أخرى في تيهرت كمسجد الكوفيين، مسجد البصريين و غيرهم و هذا ما ذكره ابن الصغير في قوله: ".فكان مسجد للقرويين و للكوفيين و مسجد للبصريين"⁴، بينما المنشآت المدنية فنجد أنها تنوعت بين المعالم السكنية و المرافق العمومية، كالقصبية، الدور و المساكن المبنية بالطوب و الحجارة المنحوتة، كذلك المنازل المتلاصقة فيما بينها ذات الأبواب الخشبية المتكونة من مصراعين⁵، إلا أن القصور بنيت وسط البساتين و على ضفاف الأنهار، كقصر أبي بكر و أبي اليقظان و غيرهم⁶، كما تميزت المدينة بأحياء تتخللها شوارع و ساحات بالإضافة إلى وجود الفنادق و الخانات و الحمامات و الأسواق، و من هذه المعالم المذكورة تبين دورها في أنها ذات أهمية معمارية بالغة من حيث طريقة بنائها و المواد المستعملة فيها و هندستها التي تختلف من شكل لآخر، و عليه فإن هذا التنوع في المنشآت يعتبر مظهرا من مظاهر التطور المعماري الذي شهدته تيهرت.

1- المقديسي: المصدر السابق، ص 229.

2- الدرجيني: المصدر السابق، ج 1، ص 41.

3- البكري: المصدر السابق، ص 63.

4- ابن الصغير: المصدر السابق، ص 32.

5- عبد الرحمن ابن خلدون: المصدر السابق، ص 237.

6- جودت عبد الكريم: المرجع السابق، ص 384.

المبحث الثاني: مدينة بجاية حضاريا و معماريا

1- الجانب السياسي:

عرفت مدينة بجاية أحداثا سياسية في عهد الناصر بن علناس منها تأسيس هذه المدينة سنة 460 هـ / 1067م ، واتخاذها عاصمة سياسية جديدة بعد أن كانت في القلعة ، فكان هذا الانتقال رغبة منه في الاستقرار السياسي للدولة وحماية ملكه من الغزو الهلالي ، وخاصة بعد انهزامه في معركة سببية ودمار القيروان¹ ، وسعيها منه للاستقرار السياسي قام بالمصاهرة مع بني عمومتهم الزيرين ، والذي أدى بانتهاء الصراع بينهما بفضل هذه المصاهرة، والتي أثرت بشكل كبير في تشجيع حركة الهجرة بين إفريقية والقلعة ، بجاية ، بحيث نتج عن هذه المصاهرة أيضا بروز الأمن والاستقرار بالمنطقة²، بالإضافة إلى ذلك فقد ركز الأمراء الحماديون في سياستهم على البناء والتعمير في بجاية ، فظهرت المنشآت الحربية والدينية والمدنية، فتوافد عليها المهاجرين من كل بلاد المغرب الإسلامي و استقروا فيها³، كما للسياسية الأمنية التي اتبعها الأمراء وعلى رأسهم الناصر بنو علناس 454هـ-481هـ/1062م-1088م دورا في إخماد الثورات ومحاربتها ، كما قام المنصور بن الناصر من القضاء على الثورة الزناتية، إلى أنهم في الأخير فشلوا وانهمزوا أمام الحماديين، حيث انتصر المنصور بن الناصر في هذه المعركة⁴.

ومن خلال هذه النتائج السياسية يتبين أن للأمراء الحماديين دور هام وفعال في تحقيق الأمن و الاستقرار و ربط علاقات سياسية مع جيرانهم، و تعتبر مجرد التفكير في نقل مقر الدولة الحمادية من القلعة أنجازا، لأنه تفكير سياسي بعيد النظر، إذ بذلك تمكنوا من استمرار بناء هذه الدولة لسنوات أخرى بعد أن أصبح الهلاليون يشكلون خطرا على القلعة، كما أن بناء بجاية (المنصورة) مكنهم من الانفتاح على البحر و تقوية دولتهم، مما وفر لهم البحر علاقات سياسية .

¹ - ابن الأثير: المصدر السابق، ج8، ص373.

² - ابن عذاري: المصدر السابق، ص299.

³ - ابن خلدون: المصدر السابق، ص229.

⁴ - النويري: المصدر السابق، ج24، ص232.

2- الجانب الاقتصادي:

شهدت مدينة بجاية في العصر الوسيط نشاطات متنوعة في المجال الاقتصادي كالزراعة، الصناعة، التجارة و غيرها، لكن النشاط الأبرز الذي برز بالمدينة هو النشاط الزراعي.

أ - الزراعة:

احتلت بجاية المكانة الأولى في هذا النشاط الزراعي لأكثر من نصف عمر الدولة، بحيث كان لها بواد ومزارع تكثر فيها الحنطة و الشعير، أما التين و الفواكه و الثمار و جميع الخيرات فكانت وفيرة و منتشرة في البلاد¹، و في هذا يقول الإدريسي: " و لها بواد و مزارع، و الحنطة و الشعير بها موجودان كثيرا و التين و سائر الفواكه منها ما يكفي لكثير من البلاد²"، لأن الأراضي المحيطة بها و بالقرى الحمادية كانت كلها مناسبة و صالحة للزراعة³، و بفضلها تنوعت المحاصيل الفلاحية بشكل كبير، بالإضافة إلى اهتمام سكانها بهذا النشاط الكبير مع استفادتهم بنظام إقطاع الأراضي⁴، خلال العهدين الموحدوي و الحفصي مقابل خدمة تقدم للدولة أو شبه من مدخول الأرض، و كما استغلوا إلى جانب ذلك النباتات و الغابات الكثيفة التي توفر المادة الأولية لبعض الصناعات كالخشب، و كذا أشجار الصنوبر الوفيرة في استخراج مادتي الزيت و القطران⁵، و بازدهار النشاط الزراعي توفرت المنتوجات الفلاحية التي وفرت الاكتفاء للدولة و الفائض الذي يصدر إلى خارجها، كما تعتبر تقنيات و وسائل الري و الفلاحة ضرورية في مجال تطور الزراعة بالمغرب الأوسط.

¹ - عبد الخليم عويس: المرجع السابق، ص 221-222.

² - الإدريسي: المصدر السابق، ص 260.

³ - عمورة عمار: موجز تاريخ الجزائر، دار ربحانة للنشر و التوزيع، الجزائر، ط 1، 2002، ص 62.

⁴ - الإقطاع: هبة و منة، يقررها الخليفة مقابل خدمة للدولة، ينظر: عز الدين احمد موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، ط 1، دار الشروق، 1983، ص 146.

⁵ - رشيد بورويبة: الدولة الحمادية...، المرجع السابق، ص 134.

ب- الرعي:

عمل الفلاحون في مدينة بجاية على تربية البقر، الغنم، الخيل، الماعز، الإبل و النحل¹، بالإضافة إلى نشاط الصيد باختلاف أنواعه منها، صيد الأسماك المتوفرة بالساحل الحمادي كله، بينما صيادة المرجان فقد وجدت بكثرة في مرسى الخرز².

ج- الصناعة:

عرفت بجاية في المغرب الأوسط تطورا واسعا في المجال الصناعي، بحيث ارتبط نشاطها بتأسيسها، فكان لها الدور الفعال على المستويين الداخلي و الخارجي و نقطة أساسية في تطور الدولة الحمادية³ في هذا المجال، فهناك صناعات اشتهرت بها المدينة منها الصناعة النسيجية، كصناعة الألبسة و العمائم، كذلك الصناعة الجلدية التي تمثلت في صناعة الأحذية بأشكال مختلفة⁴، إلى جانب صناعة الفخار و الأواني المنزلية بفضل توفر مادة الطين التي تتلائم مع هذه الصناعة⁵، كذلك نجد الصناعة الخزفية و الزجاجية و الورقية، لأن بجاية كانت تتوفر على مواد معدنية بالغة الجودة و الأهمية⁶، بالإضافة لصناعة الأسلحة و السكة⁷ و السفن البحرية و يذكر صاحب الاستبصار قائلا: " أنه كان بجاية دارا لصناعة المراكب و إنشاء السفن"⁸، و هناك صناعة الشموع و المصاييح و مطارق الأبواب⁹ و التي كانت تصدر إلى الخارج، حيث تذكر بعض المصادر التاريخية أنها اشتقت اسمها بوجي من اسم الشمع اللاتيني.

¹ - حسن الوزان: المصدر السابق، ج2، ص51.

² - رشيد بورويبة: المرجع السابق، ص135.

³ - ياقوت الحموي: المصدر السابق، ص339.

⁴ - عز الدين احمد موسى، المرجع السابق، ص230.

⁵ - إسماعيل العربي: العمران و النشاط الاقتصادي في الجزائر، مجلة الثقافة، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، 1976، ص341.

⁶ - الإدريسي: المصدر السابق، ص260.

⁷ - عز الدين احمد موسى: المرجع السابق، ص249.

⁸ - مؤلف مجهول: المصدر السابق، ص20.

⁹ - عبد الخليم عويس: المرجع السابق، ص226.

و لعل العامل الأساسي في انتشار هذه الصناعات و غيرها هو وفرة اليد العاملة النشيطة من صناع و حرفيين و مختصين في هذا المجال، و هذا ما ذكره الإدريسي في قوله: " و بها من الصناعات و الصناع ما ليس بكثير من البلاد"¹، و قد ساهم توفر الثروات الطبيعية في تطور و ازدهار المجال الصناعي في بجاية، فكان له الأثر الايجابي في ذلك، و ثمة صناعات أخرى لم نذكرها تميزت بالبداوة و البساطة، و تمثلت وظيفتها في سد حاجات أساسية لسكان المدينة².

د- التجارة الداخلية و الخارجية:

تعتبر بجاية من أهم المراكز التجارية في المغرب الإسلامي، إذ كان لموقعها الإستراتيجي دور هام في تنشيط الحركة التجارية داخل و خارج المدينة، فقد أنشأ الحماديون في بجاية أسواقا يتبادل فيها التجار مختلف السلع والبضائع³، كما توجد طرق تجارية برية و بحرية لتسهيل حركة التجار والتنقل داخليا و خارجيا، لإحداث تكامل اقتصادي للدولة.

كما كان لبجاية صلات تجارية بينها وبين الأقطار المجاورة، التي يمكن من خلال فتح أسواق لتصريف منتجاتها⁴، كما نشط سكانها كذلك في التجارة الخارجية، بفضل النشاط البحري الذي كان له الدور الفعال في هذه التجارة، إذ عقدت الدول البحرية الأوروبية مع حكام بجاية الحمادية معاهدات تجارية وفي مقدمتها إيطاليا⁵، بالإضافة إلى مرسى بجاية الذي احتضن العديد من سفن الروم من الشام و الإسكندرية، بلاد اليمن، الهند، الصين وغيرها⁶، و مما دعم اقتصاد الدولة تلك المبادلات التجارية و

1- الإدريسي: المصدر السابق، ص 260.

2- عبد الحليم عويس: المرجع السابق، ص 226.

3- عمورة عمار: المرجع السابق، ص 61.

4- عبد الحليم عويس: المرجع السابق، ص-ص 227-228.

5- عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج 1، ص 392.

6- عبد الحليم عويس: المرجع السابق، ص 229.

الامتيازات التي استفادت منها، كالترايط الثقافي بين سكانها و بين الوافدين إليها، و هذا ما يبين مستوى تواضع و بساطة أهالي بجاية.¹

و عليه فقد حظيت مدينة بجاية بمكانة تجارية و مركزية ذات أهمية كبيرة في منتصف القرن السادس الهجري، الثاني عشر ميلادي خاصة البحرية منها، و التي اندمجت تدريجيا في الفضاء الإسلامي و المتوسطي و المحلي، كما كان لتجارها الداخلية و الخارجية دورا بارزا في النشاط الاقتصادي و تأثيرا كبيرا على بلاد المغرب الأوسط خصوصا و المغرب الإسلامي عموما.²

هـ- الرواتب و الزكاة:

استفاد الوزراء و رجال البلاط و الحشم و القضاة و الفقهاء و الطلبة في مدينة بجاية خلال العهد الموحد، من رواتب خزينة الدولة، كما احتلت الزكاة مكانة هامة في القرنين 6هـ-7هـ-12هـ-13هـ إذ فرضت على أهالي المدينة تطبيق أحكامها و فرائضها مع الإلتزام بها و عدم منعها.³

¹ - الإدريسي: المصدر السابق، ص260.

² - علاوة عمارة: التطور العمراني و التجاري لمدينة بجاية في العصر الوسيط، مجلة الدراسات الإسلامية و الإنسانية، العدد26، جامعة الأمير عبد القادر، 2008، ص240.

³ - أمينة بوتشيش: بجاية دراسة تاريخية و حضارية بين القرنين السادس و السابع هجريين، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط، تلمسان، 2007م-2008م، ص ص 60-61.

3- الجانب العلمي و الفكري:

تميزت بجاية كغيرها من مدن المغرب الإسلامي بحياة علمية مزدهرة، خاصة بعد انتقال الحماديين من القلعة إليها، كما نالت اهتماما واسعا من طرف الرحالة و المؤرخين، فقصدها العلماء و أرباب الصنائع و التجار و غيرهم من الشعراء¹.

تعتبر التجارة عاملا من العوامل المساعدة التي ساهمت في تطور الجانب العلمي و الفكري عن طريق انتقال القوافل التجارية التي كان من ضمنها الأدباء، الشعراء، الفقهاء، هذا ما يؤكد البكري بقوله: "و هي اليوم مقصد التجارة و بها تحل الرحال من الحجاز و مصر و الشام و سائر بلاد المغرب...²"، حيث اشتهرت في هذا العصر ظاهرة التنافس الثقافي بين بلدان المشرق و المغرب الإسلامي و الأندلس، و ساعد على هذه التنافس تشجيع العلماء و المفكرين على الانتقال بين العواصم الإسلامية و التي غلب عليها طابع البعثات و الرحلات العلمية، ما يؤكد هذه الظاهرة تلك البعثات العلمية و دورها الايجابي في خلق وحدة فكرية في بجاية وفي بلا المغرب الإسلامي على العموم³، و من بين المناطق المشرقية التي ارتحل إليها البجائيون نذكر منها القاهرة ، دمشق، بغداد ، الحجاز التي توافد عليها عدد كبير من علماء المغرب الأوسط بمختلف تخصصاتهم الدينية و الأدبية و العلمية، منهم من استوطن في تلك البلاد و منهم من ارتحل منها، ليعم التنافس بينهم و بين المشاركة، كما كان للمهاجرين الوافدين على بجاية بتخصصاتهم المختلفة قد كان لهم تأثير على الحياة العلمية ببجاية، و الذين تأثروا بعلمائها و بعادات سكان المدينة ليكتسبوا من خلالها مناهج و معارف متنوعة في شتى الميادين⁴.

¹ - رايح بونار: المرجع السابق، ص194.

² - البكري: المصدر السابق، ص710.

³ - عبد الحليم عويس: المرجع السابق، ص250.

⁴ - سناني سمية: الحياة الأدبية و العلمية في بجاية خلال عهد الحماديين من القرن(5هـ-6هـ/11م-12م)، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ العام، جامعة 8 ماي 1945م، 2015-2016، ص40.

أما المؤسسات التعليمية في مدينة بجاية فقد عرفت انتشارا واسعا في أنحائها و بشكل كبير و تنوعت بين الدينية و الثقافية خلال النصف الثاني من القرن الأول الهجري و السابع الميلادي¹، و في مقدمتها المساجد التي لقيت اهتماما كبيرا في الحياة الدينية و الاجتماعية، و تجلت أهميته في أنه مكان للعبادة و التفقه في أمور الدين، كما كان مقرا للقضاء و بيت مال المسلمين²، كذلك عقدت في المساجد حلقات للعلم و حفظ القرآن و الأحاديث الشريفة و مبادئ اللغة العربية و علوما أخرى مختلفة³، فتعددت المساجد في بجاية منها، مسجد الجامع الأعظم الذي شيده المنصور في عهده، و أطلق عليه اسم المسجد المنصوري، وهو قريب من قصر اللؤلؤة⁴، و من جانب آخر ظهرت الكتابات التي تعد ثاني المؤسسات الدينية و التعليمية بعد المساجد، و هي مكان مخصص للتعليم ووظيفتها تلقين الدروس حول قواعد الكتابة و القراءة و المبادئ الدينية⁵، أما المكتبات فقد حظيت هي الأخرى بأهمية كبيرة لما تقدمه للطلبة و العلماء، من كتب قيمة تنوعت عناوينها و مؤلفيها، و التي عرفت آنذاك بأسماء مختلفة كبيت الحكمة، دار الكتب، خزانة كتب دار العلم، كما تزودهم بجوانب متعددة منها، الدينية و الثقافية و الاجتماعية.. إلخ، كما اشتهرت بجاية في العصر الوسيط بعلوم شتى، كالعلوم النقلية التي تمثلت في (علوم القرآن، الحديث، الفقه، التفسير)، أما العلوم القليلة فتمثلت في (الرياضيات، التاريخ و الجغرافيان الطب و الصيدلة)⁶.

1- محمد محمدي: المساجد و الزوايا ببجاية و دورها في حفظ الدين و الفكر الصوفي، مجلة حوليات التراث، جامعة سعيدة، الجزائر، العدد13، 2013، ص 104.

2- صالح يوسف بن قرية: المرجع السابق، ص 169.

3- نفسه، ص 57.

4- المهدي بوعبدلي: المرجع السابق، ص 20.

5- الجيلالي شقرون: تلمسان مركز إشعاع حضاري في المغرب الأوسط، مجلة الفقه و القانون، قسم التاريخ، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، ص 2.

6- جلول صلاح: تأثير قلعة بني حماد على بجاية في المجال العلمي و الاجتماعي ق(5هـ-6هـ/11م-12م)، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ و الحضارة الإسلامية، قسم الحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2014-2015م، ص 62-63.

من خلال ما تقدم ذكره، نستنتج أن هذه المؤسسات لها دور هام في تطور الجانب العلمي و الفكري، و بروز العلماء و الفقهاء و انتشار ظاهرة التنافس الثقافي بينهم و بين المشاركة و بلاد المغرب الإسلامي عامة، بالإضافة إلى الدور المتميز الذي حققه الأمراء و الحكام الحماديين في المجال العلمي و الفكري، فأصبحت بذلك بجاية حاضرة علمية تشد لها الرحال و مقصد لكل عالم أراد أن يزيد في علمه، و مثال ذلك ابن خلدون الذي استقر بمسجدها الجامع.

4- الجانب المعماري:

تعتبر مدينة بجاية ثاني عاصمة لدولة بني حماد في المغرب الأوسط، بينما عاصمتهم الأولى عرفت بقلعة بني حماد¹، أما بجاية الناصرية فقد ارتبط ظهورها بأحداث تاريخية هامة مهدت لبنائها بعد الانتقال إليها منها، انهزام الناصر بن علناس في معركة سببية² و خراب القلعة سنة 457هـ/1064م، و التي بينت مدى قوة بني هلال في المغرب الأوسط، و لذلك سعى إلى البحث عن مكان جديد يبعد عن خطر العدو³، فاخطت الناصر مدينة بجاية بعد أن انتقل إليها سنة 461هـ/1068م و سماها بالناصرية، فشيّد بها مختلف القصور و المباني، و نقل إليها السكان و نبع بها العلماء و المفكرون في مختلف العلوم، ليظهر بعدها التنافس العلمي و الثقافي بينها وبين القيروان و الدول الأخرى، كما نشر السلم و الأمن بين أهاليها ليعم الرخاء و الازدهار في المدينة⁴، و لإبراز تعمير بجاية جاء في قول الإدريسي: "أما مدينة بجاية في ذاتها عمرت بخرائب القلعة التي بناها حماد"⁵.

¹- قلعة بني حماد: اختطها حماد بن بلكين سنة 398هـ /م، على قمة جبل يسمى تاقربوست، و هي بالقرب من أشير، و اختطها

حماد التحصن و الامتناع، ينظر: ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص227.

²- سببية: هي ناحية من افريقية ، ينظر: ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج4، ص186.

³- سعد زغلول عبد الحميد: المرجع السابق، ص452.

⁴- دومنيك فاليرين: بجاية ميناء مغاربي 1067-1510م، تر: علاوة عمارة، منشورات الأعلى للغة العربية، الجزائر، د س، ج1، ص58.

⁵- عبد الحليم عويس: نقلا عن الإدريسي، المرجع السابق، ص101.

تميزت مدينة بجاية عن نظيرتها تيهرت في جانب العمارة، فنجد أن الحماديون فيها قد تفننوا في بناء عاصمتهم و تعميرها بالمعالم العسكرية و الدينية و المدنية.

فبالنسبة للمنشآت العسكرية فقد تنوعت في المدينة، منها الأبواب التي ارتبطت بالأسوار و اتخذت جانبا معماريا اتسم بالحصانة و القوة و من هذه الأبواب: باب البحر، باب البنود، باب امسيون، باب المرسى، باب اللوز، باب المرقوم، باب دار الصناعة، و عليه فإن هذه الأبواب قد ساهمت في تسهيل تحديد المدينة، كما كان لها دورا هاما في عالم الفن و الزخرفة¹، بينما الأسوار فكانت عاملا أساسيا هي الأخرى في حماية المدينة و سكانها، فإلى جانبها توجد الأبراج التي سميت بمنارات، و ذلك لوظيفتها المتمثلة في إشعال النيران ، منها برج سيدي موسى و برج شوف الرياض، اللذان تميزا بمجموعة من الطوابق و الغرف، ضف إلى حصن القصبه حصن سيدي عبد القادر و غيرها من الحصون داخل بجاية و التي تختلف فيما بينها من حيث شكلها و تخطيطها²، فمن الناحية المعمارية للأسوار و الأبراج و الحصون نجد أنها بنيت الحجر و الدبش و الآجر³. أما من جهة أخرى فمدينة بجاية تميزت بمنشآت دينية و على رأسها المساجد بحيث بلغ عددها ثلاث و سبعين مسجدا، أهمها المسجد الأعظم الذي بناه المنصور بن علناس خلال القرن الخامس الهجري ، الحادي عشر ميلادي، و الذي تميز بشكله المعماري و هندسته و زخرفته التي ميزته عن المساجد الأخرى، كمسجد الريحانة، مسجد النطاعين، مسجد ملالة، مسجد سيدي عبد الحق⁴، كما شهدت بجاية انتشارا واسعا للمعالم المدنية و المرافق العمومية، كالقصور التي تميزت بأسقفها المزخرفة و بغرفها المتعددة و أسوارها المتينة التي تحيط بها، ففي عهد الناصر بن علناس بني ببجاية قصر اللؤلؤة، كما شيّد المنصور بن علناس كلا من قصر الملك، قصر المنار، قصر الكوكب، قصر السلام، قصر اميمون، قصر النجمة، و قد استعان المنصور في بناء المنشآت

¹ - عبد الكريم عزوق: المعالم الأثرية... المرجع السابق، ص218.

² - عبد الكريم عزوق: التحصينات الحربية... المرجع السابق، ص80.

³ - عبد الكريم عزوق: المعالم الأثرية... المرجع السابق، ص203.

⁴ - رشيد بورويبة: المرجع السابق، ص230.

بمهندسين و حرفيين مختصين في مجال البناء و الزخرفة¹، و من ضمن المرافق أيضا الأحياء المتكونة من الحومات كحومة باب أمسيون، حومة باب المذبح، حومة بالبساط الأموي، حومة رابط التمني، حومة بئر مسفرة، حومة اللؤلؤة²، بالإضافة إلى هيكلة الأسواق المخصصة لحفظ السلع المختلفة و للتبادل التجاري، من بينها الأسواق الخمسة المشهورة، سوق قيسارية، سوق باب البحر، سوق الصوافين، سوق بحومة المذبح، سوق تاطنت و غيرها من الأسواق المتعددة في المدينة، إلى جانب الأسواق توجد الدور و المنازل و المساكن الريفية، و فيما يتعلق بالمنشآت المائية فوجد السقايات و السدود³، ضف إلى ذلك الآبار التي يجلب منها الناس الماء لاحتياجاتهم اليومية كآبار السلام و آبار ملالة⁴.

و ختاماً لهذا الجانب الهام يتبين أنّ مدينة بجاية قد تنوعت معالمها بين العسكرية و الدينية و المدنية مع تنوع ووفرة مواد البناء المستعملة في تشييدها، و التي كان لها الدور البارز في مجال تطور العمارة من خلال طريقة البناء و الهندسة و الزخرفة في معالمها المتعددة، و عليه فقد ازدهرت حركة التقدم المعماري في بجاية، بحيث أنّ هذا التقدم عكس صورة ازدهار الحماديين في بجاية، كما كان للناصر بن علناس و ابنه المنصور الأثر الكبير في تحقيق ازدهار العمارة في بجاية⁵.

¹ - يمينة بن صغير حضري: خصائص العمارة الإسلامية بالمغرب الأوسط، المؤتمر الدولي الخامس، مركز بحوث التراث و الحضارة، جامعة قنّاة السويس، 2018، ص11.

² - الغبريني: المصدر السابق، ص-ص11-59.

³ - علاوة عمارة: الجزائر بوابة التاريخ (الجزائر عامة ما قبل التاريخ إلى سنة 1962)، ج1، دار المعرفة، ص124.

⁴ - عبد الكريم عزوق: المعالم الأثرية... المرجع السابق، ص199.

⁵ - عبد الحليم عويس: بجاية الجزائرية... المرجع السابق، ص168.

ملخص الفصل الثالث:

من خلال ما تقدم نستنتج أن الدور الحضاري و المعماري لمدينتي تيهرت وبجاية قد تميز بجوانب مختلفة و متعددة منها، السياسية، الاقتصادية. الفكرية، المعمارية، حيث كان لها الأثر البالغ في تطور و ازدهار هاتين المدينتين في المغرب الأوسط، كما أثرت بشكل كبير على سكان المنطقتين في تلك الفترة، أما الأمراء و الحكام فقد كان لهم دور بارز في تنشيط الجوانب بين هؤلاء السكان ، بالإضافة إلى ظهور الجانب المعماري من خلال تشييد العديد من المنشآت الحربية و الدينية و المدنية و المعالم المعمارية و الأثرية، التي لازالت تحتفظ بها كل من تيهرت و بجاية، مما يدل على مدى أهمية الحضارة و العمارة الإسلامية لهما.

خاتمة

من خلال دراستنا لموضوع التطور المعماري لعواصم المغرب الأوسط: تيهرت و بجاية أنموذجا، توصلنا في الأخير لمجموعة من الاستنتاجات كانت كالاتي:

- تعتبر مدينتي تيهرت و بجاية من بين المدن التاريخية في المغرب الأوسط، اللتان كان لهما حضورا متميزا و تأثيرا فعالا مكنهما من امتلاك ماضيا تاريخيا هاما، و هذا راجع إلى بناء كل مدينة و كيفية عمارتها و تطورها.

- مدينة تيهرت هي أول دولة مستقلة بالمغرب الأوسط، و التي أنشأت من طرف مؤسسها عبد الرحمن بن رستم بعد مبايعة الإباضيين له بالإمامة سنة 160هـ-777م، أما بناء مدينة بجاية فجاء من طرف الناصر بن علناس، و ذلك بعد انهزامه في معركة سببية سنة 457هـ هروبا من الهلاليين.

- وصل عبد الرحمن بن رستم إلى مدينة تيهرت بعد انهزامه في حصار طبنة سنة 154هـ/ 771م، ثم وصل بعد ذلك إلى جبل سوفجج .

- كان اختيار موقع مدينة تيهرت لظروف سياسية واجهتها في تلك الفترة، فرضت عليها اختيار موقع ذو حصانة عالية و خصائص طبيعية معينة، مكنتها من تأسيس حاضرتها الرسمية.

- أخذ الإباضيون و على رأسهم عبد الرحمن بن رستم في اختطاط و بناء مدينة تيهرت سنة (160هـ-777م)، و تعيرها بمختلف المنشآت و المرافق العمومية.

- أما مدينة بجاية فقد أنشأها الناصر بن علناس ، إثر انهزامه في معركة سببية 457هـ/1064م، و التي أسفرت عن مدى قوة بني هلال في المغرب الأوسط، الأمر الذي دفع بالناصر إلى ترك قلعة بني حماد و تحوله إلى بجاية.

- ميزت مدينة بجاية عن نظيرتها تيهرت بموقعها الاستراتيجي و حصانتها الطبيعية و بفضل اختيار مكان لبنائها من طرف الناصر بن علناس، فاجتذب إليها السكان و الأهالي و أطلق عليها اسم الناصرية سنة 460هـ/1067م.
- اختلفت بعض المصادر و الروايات في إعطاء التاريخ الرسمي لبناء تيهرت، لنستخلص في الأخير بالرواية الأقرب و هي رواية ابن عذاري التي يرجحها إلى سنة 160هـ/777م.
- أما مدينة بجاية فقد حدد تاريخ بنائها سنة 460هـ/1067م، بعد أن آل الحكم في المغرب الأوسط إلى الأسرة الحمادية.
- حظيت كل من المدينتين تيهرت و بجاية بوصف كبير و واسع من طرف الرحالة و الجغرافيين، فذهب كل مؤرخ على وصفها ضمن كتبه.
- تميزت مدينتي تيهرت و بجاية بجمالهما المعماري و الفني، من خلال طريقة بنائهما و التفنن في تجميلها بمختلف المرافق الحربية و الدينية و المدنية.
- اشتهرت مدينة تيهرت بتعدد أبوابها، منها الأبواب الرئيسية الأربعة، باب الصفا، باب المنازل، باب باب المطاحن، باب الأندلس.
- اتخذت المعالم العسكرية المتمثلة في الأسوار و الأبراج و الحصون و غيرها في تيهرت أشكالاً، للتمييز فيما بينها، لتجتمع وظيفتها الأساسية في حماية المدينة من الغارات و الغزوات الخارجية.
- اتسمت المنشآت الدينية في مدينة تيهرت بالاعتناء بعمارة المساجد الإسلامية و تعددها، و على رأسها المسجد الجامع الذي كان مقراً للعبادة و انعقاد حلقات و دروس دينية و دراسية للطلبة، بالإضافة إلى وجود مساجد أخرى كمسجد القرويين، مسجد البصريين، مسجد الكوفيين و غيرهم.
- اهتم الرستميون بالعمارة المدنية اهتماماً كبيراً، فشيّدوا المعالم السكنية المختلفة و المرافق العمومية المتعددة و الضرورية.

- تميزت مدينة بجاية هي الأخرى بتعدد أبوابها و أسوارها و أبراجها، باعتبارها وسيلة دفاعية تحيط بجهاث المدينة كلها، و التي كانت وظيفتها المراقبة و تنظيم الحراسة حول المدينة.
- اتسمت العمارة الدينية في مدينة بجاية بتعدد المساجد، و في مقدمتها الجامع الأعظم، الذي كان مقرا للعبادة و إلقاء الدروس الدينية على المصلين و الطلبة، ضف إلى وجود مساجد أخرى منها، مسجد ملالة، مسجد سيدي عبد الحق، مسجد الريحانة و غيرها من المساجد المنتشرة بكثرة في المدينة.
- أما العمارة المدنية في بجاية فنجد أنها تنوعت بالأحياء و القصور و الأسواق و منابع المياه، كما انتشرت الآبار و السقايات فيها لتلبية حاجيات سكانها.
- إن العمارة في مدينة تيهرت و بجاية تنوعت بين المنشآت الحربية و الدينية و المدنية، فتيهرت قد استمدت عمارتها من العمارة الأموية و العباسية و جسدها في بعض معالمها، بينما بجاية تأثرت بالعمارة الأندلسية، و يرجع ذلك إلى هجرة الأندلسيين إلى المغرب الأوسط.
- يعد الجانب المعماري مرآة تعكس تاريخ و حضارة المدينتين تيهرت و بجاية في العصر الوسيط، من حيث تنوع تقنيات و أدوات البناء في تشييد المرافق و المنشآت.
- إن تطور العمارة في المدينتين بمثابة تطور الفن الإسلامي، كما تعتبر مظهرا من مظاهر التطور المعماري الذي شهده المغرب الأوسط خصوصا و المغرب الإسلامي عموما.
- ميزت مدينة تيهرت و بجاية بجمال معماري من حيث بناء و تشييد الأسوار و القصور و المساجد و المرافق العمومية الأخرى، ضف إلى كيفية بنائها و طريقة هندستها و زخرفتها، و التي تختلف من شكل لآخر و من زخرفة لأخرى.
- إن التنوع في بناء هذه المعالم و المنشآت، يوحي بالأهمية المعمارية التي حظيت بها كل من مدينتي تيهرت و بجاية في المغرب الأوسط.

قائمة المصادر

والمراجع

القرآن الكريم

- 1- ابن ابي زرع الفاسي: الانيس المطرب بروض القرطاس، صور للطباعة و الوراقة، الرباط، 1972.
- 2- ابن الأثير أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الواحد الشيباني: الكامل في التاريخ، مراجعة محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، ج8، 1987.
- 3- ابن الخطيب لسان الدين: أعمال الأعلام، قسم تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، تحقيق أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء، ج3، 1964.
- 4- ابن الصغير المالكي: اخبار الائمة الرستميين، تحقيق و تعليق محمد ناصر و ابراهيم بحاز، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1986.
- 5- ابن حوقل النصبي ابي القاسم (ت367هـ): صورة الارض، دار منشورات مكتبة الحياة، بيروت، 1992.
- 6- ابن خلدون عبد الرحمان: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، الجزء 6، 1، دار الفكر، بيروت، 2000.
- 7- ابن خلكان أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر: وفيات الأعيان في أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ج3.
- 8- ابن عذارى المراكشي ابي العباس احمد بن محمد: البيان المغرب في اخبار الاندلس و المغرب تعليق: بشار عواد معروف، محمود بشار عواد، دار الغرب الاسلامي، ط1، تونس، ج1، 2013.
- 9- ابن منظور محمد بن مكرم بن علي الانصاري(ت711هـ): لسان العرب، اعداد يوسف خياط ندتم مرعشلي، مجلد 3-4، بيروت، 1970.
- 10- ابي الفدا عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عمر: تقويم البلدان، تصحيح: رينود و ماك كوكين دار الطباعة السلطانية، باريس، 1830.

- 11- ابي زكريا يحيى بن ابي بكر: سير الائمة و اخبارهم، تحقيق اسماعيل العربي، المكتبة الوطنية الجزائرية، 1979.
- 12- الإدريسي(ابو عبد الله الشريف):نزهة المشتاق في اختراق الأفاق ،تحقيق محمد حاج صادق مكتبة الثقافة الدينية،بلجيكا ،1983.
- 13- الإصطخري ابو اسحاق ابراهيم محمد الفارسي (ت في النصف الاول من القرن الربع هجري) المسالك و الممالك، تحقيق: محمد جابر عبد العالي الحيني و محمد شفيق غربال، دار القلم، القاهرة، 1961.
- 14- البكري (أبي عبيد الله بن العزيز): المسالك والممالك ،دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د س ن.
- 15- البيذق(أبو بكر بن علي الصنهاجي): أخبار المهدي ابن تومرت و بداية دولة الموحدين دار المنصور للطباعة و النشر، الرباط ، 1971.
- 16- الحميري محمد بن عبد المنعم (ت727هـ):الروض المعطار في خبر الأقطار تحقيق إحسان عباس ، مكتبة لبنان، ط 1 ، 1975.
- 17- الدرجيني احمد سعيد: طبقات مشائخ المغرب، تحقيق ابراهيم طلاي، ج1.
- 18- الرقيق القيرواني: تاريخ افريقية و المغرب، تعليق: محمد زينهم - محمد عزب، ط1، تونس 1994.
- 19- الزهري ابي عبد الله محمد بن ابي بكر: الجغرافية، تحقيق محمد الحاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية.
- 20- شاوش محمد بن رمضان: الدر الوقاد من شعر بكر بن حماد التاهرتي، المطبعة العلوية مستغانم، 1966.
- 21- الشماخي أحمد بن سعيد عبد الواحد: السير، تحقيق مسعود بن احمد السيباني، دائرة التراث القومي و الثقافة، سلطنة عمان، ج 1 ، ط 2، 1992.

- 22- الشهرستاني ابي الفتح محمد بن عبد الكريم: الملل و النحل، تعليق: محمد فهيمي محمد، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط2، ج1، 1992.
- 23- العبدري ابي عبد الله محمد بن محمد بن علي بن احمد بن سعود البننسي: رحلة العبدري، دار سعد الدين ، ط2، دمشق، 2005.
- 24- العماد دمشقي: شذرات الذهب في اخبار من ذهب، تحقيق عبد القادر و محمود ارناؤوط، دار ابن الكثير، دمشق، ج5، (د-ت).
- 25- الغبريني احمد بن احمد بن عبد الله الغبريني: عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1970.
- 26- الفيروز أبادي: القاموس المحيط، تحقيق: أنس محمد الشامي و زكريا جابر أحمد، دار الحديث القاهرة، 2008.
- 27- القزويني زكريا بن محمد بن محمود(ت682هـ): اثار البلاد و اخبار العباد، دار صادر للطباعة و النشر، بيروت، 1960م.
- 28- مجهول مؤلف: الاستبصار في عجائب الامصار، نشر و تع سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، 1985.
- 29- محمد ابو زهرة: تاريخ المذاهب الاسلامية في السياسة و العقائد و تاريخ المذاهب الفقهية دار الفكر العربي، القاهرة، (د س).
- 30- المراكشي عبد الواحد: المعجب في تلخيص اخبار المغرب من فتح الاندلس الى اخر عصر الموحدين، تحقيق محمد سعد العريان، مطبعة لندن، 1881.
- 31- المقديسي المعروف بالبشاري: احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط3، 1991.
- 32- النويري(احمد بن عبد الوهاب): نهاية الارب في فنون الادب، د ب ن، د س ن.

- 33- الوزان حسن احمد بن محمد الفاسي: وصف افريقيا، ترجمة: محمد حجي - محمد الاخضر، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط2، 1983.
- 34- الونشريسسي ابي العباس احمد بن يحيى: المعيار المغرب و الجامع المغرب عن فتاوى اهل افريقية و الاندلس و المغرب، ج13، اشراف محمد حجي، نشر وزارة الاوقاف و الشؤون الاسلامية، المغرب، 1981.
- 35- ياقوت الحموي شهاب الدين ابي عبد الله: معجم البلدان، دار صادر بيروت، 1977.
- 36- ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1977.
- 37- اليعقوبي احمد بن ابي يعقوب اسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح: (ت284هـ): البلدان دار الكتب العلمية، بيروت. (د س).

ثانيا/ قائمة المراجع الحديثة:

- 1- ابراهيم بكير بحاز: الدولة الرستمية (160هـ - 296هـ / 777م - 909م)، دراسة في الاوضاع الاقتصادية و الحياة الفكرية، منشورات الشؤون الدينية و الاوقاف، ط4، الجزائر، 2015.
- 2- ابراهيم بكير بحاز: القضاء في المغرب الإسلامي من تمام الفتح حتى قيام الخلافة الفاطمية 296هـ - 715م، دار الياقوت للطباعة و النشر، الأردن، 2001.
- 3- اسماعيل عربي: دولة بني حماد ملوك القلعة و بجاية، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر (د س ن).
- 4- الباروني سليمان باشا: الازهار الرياضية في أئمة و ملوك الإباضية، مطبعة الأزهار البارونية، ج2 مصر، د س ن.
- 5- بن قرية صالح: تاريخ مدينتي المسيلة و قلعة بني حماد في العصر الإسلامي دراسة تاريخية و أثرية، منشورات الحضارة، ط1، الجزائر، 2009.

- 6- جودت عبد الكريم يوسف: العلاقات الاقتصادية و الاجتماعية في المغرب الاوسط خلال القرنين الثالث و الرابع الهجريين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د س).
- 7- جودت عبد الكريم: العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.
- 8- الجيلالي عبد الرحمن محمد: تاريخ الجزائر العام، ج، شركة دار الأمة للبشر والتوزيع، برج الكيفان، الجزائر، ط.1، 2014.
- 9- حاجيات عبد الحميد: كتاب مرجعي حول تاريخ الجزائر في العصر الوسيط، وزارة المجاهدين، د ب ن، د س ن.
- 10- الحريري محمد عيسى: الدولة الرستمية بالمغرب الاسلامي حضارتها و علاقاتها الخارجية بالمغرب و الاندلس (160هـ - 296هـ)، دار القلم، مصر، ط3، 1987.
- 11- حسن عبد الوهاب حسني: خلاصة تاريخ تونس، تونس، الدار التونسية للنشر، 1968.
- 12- حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب و الاندلس، مكتبة الاسرة، (د ب ن)، 1992.
- 13- دومينيك فاليرين: بجاية ميناء مغاربي (1067 . 1510م)، ترجمة علاوة عمارة، منشورات الأعلی للغة العربية، الجزائر، د.س ن، ط1.
- 14- رابح بونار: المغرب الإسلامي تاريخه وثقافته، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.
- 15- رشيد بورويبة: الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1977.
- 16- سوادى عبد محمد- صالح عمار الحاج: دراسات في تاريخ المغرب الاسلامي، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، ط1، 2004.
- 17- السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب في العصر الاسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، 1999.
- 18- الشيخ بوعبدلي المهدي: تاريخ المدن، جمع وإعداد: عبدالرحمن ذويب، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، ط1، وزارة المجاهدين الجزائر، د س ن.

- 19- صالح معيوف مفتاح: جبل نفوسة وعلاقته بالدولة الرستمية من منتصف القرن الثاني هجري إلى أواخر الثالث هجري، مؤسسة تاوالت الثقافية ، د ب ن، 2006.
- 20- صالح يوسف بن قرية: تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر، سلسلة المشاريع الوطنية، الجزائر، 2009.
- 21- عبد الحميد زغلول: تاريخ المغرب العربي، منشأة المعارف، ج3، الإسكندرية 1964م.
- 22- عبد الحميد خالدي: الوجود الهلالي و السليمي في الجزائر، الجزائر، 2003.
- 23- عبد العزيز فيلاي: تلمسان في العهد الزياني، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002، ج1.
- 24- عبدالحليم عويس: بجاية وريثة القيروان وحاضرة المغرب العربي لثلاثة قرون، (ب د ن)، (ب س ن).
- 25- عز الدين أحمد موسى: النشاط الإقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، ط1، دار الشروق، 1983.
- 26- عزب محمد زينهم محمد: قيام وتطور الدولة الرستمية بالمغرب، دار العالم العربي، القاهرة، مصر، 2013.
- 27- عطالله بن دهينة: الحياة الإقتصادية و الإجتماعية لدولة بني زيان ضمن كتاب الجزائر في التاريخ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
- 28- علاوة عمارة: الجزائر بوابة التاريخ (الجزائر عامة ما قبل التاريخ إلى سنة 1962)، ج1، دار المعرفة، د س ن.
- 29- عمورة عمار: موجز تاريخ الجزائر ، دار ربحانة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2000، ج1..
- 30- عويس عبدالحليم: دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط2، 1991.
- 31- مبارك بن محمد المليي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج2 ، ط1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

- 32- محمد إسماعيل عبد الرزاق: الخوارج في بلاد المغرب، دار الثقافة، المغرب، ط2. (د. س ن).
33- محمد علي دبوز: تاريخ المغرب الكبير، ج3، دار الأحياء، الكتب العربية
1383هـ/1963، ط1.
34- الهادي روجي إدريس: الدولة الصنهاجية تاريخ إفريقيا في عهد بني زيري من القرن 10م إلى 12م. ترجمة حمادي الساحلي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992.

ثالثا/ المراجع الاجنبية:

- 1- Zahir IHADDADEN, BEJAIA a l'époque de sa splendeur (1060/1555),
édition DAHLAB, « Tlemcen capitale de la culture islamique 2011 ».

رابعا/ الرسائل الجامعية:

- 1- أمينة بودشيش: بجاية دراسة تاريخية و حضارية بين القرنين السادس و السابع هجريين، مذكرة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب الاسلامي في العصر الوسيط، قسم التاريخ، جامعة تلمسان، 2007-2008.
2- جلول صلاح: تأثير قلعة بني حماد على بجاية في المجال العلمي و الاجتماعي القرن (5-5-6هـ) (11-12م)، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ و الحضارة الاسلامية، قسم الحضارة الاسلامية، جامعة وهران، 2014-2015م.
3- سناني سمية: الحياة الادبية و العلمية في بجاية خلال عهد الحماديين من القرن (5-6هـ) (11-12م)، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ العام، جامعة 8 ماي 1945م، الجزائر، 2015-2016م.
4- علي خلاصي: التنظيمات و المنشآت العسكرية الجزائرية في العصر الحديث، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه دولة في الآثار الاسلامية، جامعة الجزائر، 2004.
5- محمد بن ساعو: التجارة و التجار في المغرب الاسلامي خلال القرن (6-9هـ) (12-15م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، جامعة باتنة، 2013-2014م.

6- هوارية بكاي: العلاقات الثقافية بين الدولة المرينية و الدولة الزيانية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط ، تلمسان، 2007-2008م.

خامسا: المجلات

- 1- احسان عباس: المجتمع التيهري في عهد الرستميين، مجلة الاصاله، الجزائر، العدد 45، 1985.
- 2- أحمد الحمدي: الوصف المحلي لتيهت عند كتاب المسالك و الممالك، المجلة الخلدونية، عدد خاص، 2009.
- 3- أحمد الشنتاوي، إبراهيم زكي خورشيد، مراجعة: عبد الحميد يونس، دائرة المعارف الاسلاميه ج3، د ب ن، د س ن.
- 4- ادريس صالح الحرير: العلاقات الاقتصادية و الثقافية بين الدولة الرستمية و بلدان جنوب الصحراء الكبرى في نشر الاسلام، مجلة البحوث الاسلاميه، العدد 01، 1983.
- 5- اسماعيل العربي: العمران و النشاط الاقتصادي في الجزائر، مجلة الثقافة، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، 1976.
- 6- الجيلالي شقرون: تلمسان مركز إشعاع حضاري في المغرب الاوسط، مجلة الفقه و القانون، قسم التاريخ، جامعة الجيلالي الياوس، سيدي بلعباس.
- 7- رشيد بورويبة: أسوار المدن الاسلاميه في العصر الوسيط، ترجمة: عريب مختار، مجلة الجامعة، العدد 18، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983.
- 8- رشيد مصطفىاوي: بجاية في عهد الحماديين، مجلة الاصاله، العدد 01، 1971.
- 9- السيدة عاملة: نظرة على تاريخ بجاية، مجلة الاصاله، العدد 19.
- 10- عبد الكريم عزوق: التحصينات الدفاعية الاسلاميه ببجاية، مجلة دراسات و أبحاث، العدد 12، 2013.

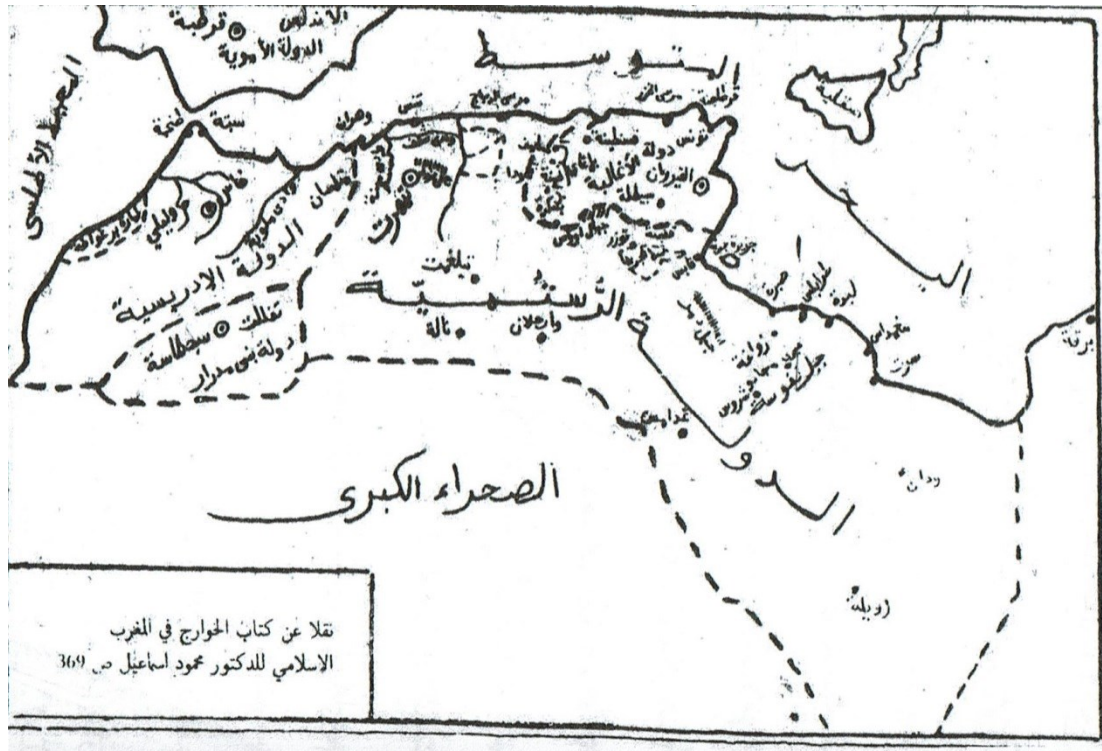
- 11- علاوة عمارة: التطور العمراني و التجاري لمدينة بجاية في العصر الوسيط، مجلة الدراسات الاسلامية و الانسانية، العدد 26، جامعة الامير عبد القادر، 2008.
- 12- علي رؤوف المالكي: الموارد المالية و الاوضاع الاجتماعية لتاهرت، العدد32.
- 13- قدور وهراني: جوانب من التاريخ الاجتماعي و الاقتصادي لمدينة تيهرت ن خلال ابن الصغير المالكي، مجلة ثقافتنا للدراسات و البحوث، جامعة وهران، الجزائر، العدد 05، 2010.
- 14- محمد الشريف واشق: نظرة تاريخية حول الحركة الثقافية في مدينة بجاية، مجلة الصومام، عدد خاص بملتقى الفكر الاسلامي التاسع عشر، بجاية، 1985.
- 15- محمد محمدي: المساجد و الزوايا ببجاية و دورها في حفظ الدين و الفكر الصوفي، مجلة حوليات التراث، جامعة سعيدة، الجزائر، العدد12، 2013.
- 16- مختار حساني: موسوعة تاريخ و ثقافة المدن الجزائرية، ج4، دار الحكمة، الجزائر، 2007.
- 17- موسى لقبال: مميزات بجاية و أهمية دورها في مسيرة تاريخ المغرب الاوسط في العصور الوسطى، مجلة الاصاله، عدد 19، 1974.
- 18- مولاي بلحميسي: عدد خاص ببجاية عبر العصور، مجلة الاصاله.
- 19- يمينة بن صغير حضري: خصائص العمارة الاسلامية بالمغرب الاوسط، مركز بحوث التراث و الحضارة، جامعة قناة السويس، 2018.

سادسا: الموسوعات

- 1- مختار حساني: موسوعة تاريخ و ثقافة المدن الجزائرية، ج4، دار الحكمة، الجزائر، 2007.

الملاحق

الملحق رقم (01) : خريطة الدولة الرستمية



ابراهيم بحاز: دراسة في الأوضاع.. المرجع سابق، ص 149.

الملحق رقم (02) : مخطط بجاية الحمادية.



عبد الكريم عزوق: المرجع السابق، ص 197.

الملحق رقم (03) : بقايا أبراج تيهرت



تابع الملحق رقم (03) : بقايا أسوار و منشآت تيهرت



المرجع : محمد جحيش و آخرون: المراكز العمرانية الكبرى في المغرب الأوسط، وزارة الثقافة،
تلمسان، 2011، ص 58-60.

الملحق رقم (04) : حمامات تيهرت



المرجع نفسه، ص 55.

الملحق رقم (05) : أبراج بجاية



المصدر : Zahir IHADDADEN, BEJAIA A l'époque de sa splendeur, p107.

الملحق رقم (06) : باب البنود ببجاية من الداخل و الخارج



المرجع نفسه، ص 113.

الملحق رقم (07) : باب البحر من الداخل و الخارج.



Bab el Bahr de l'intérieur.



Bab el Bahr de l'extérieur
(Porte Sarazine)

زهير إحدادن: المرجع السابق، ص 36-37.

الملحق رقم (08) : القصة



← Aspect de la casbah

المرجع نفسه، ص 46.

الملحق رقم (09) : برج موسى (قصر الكواكب)



4 Bordj Moussa (Kasr el Kawkeb)

المرجع نفسه، ص 51.

الملحق رقم (10) : باب المرسى



Emplacement de Bab al Marsa

المرجع نفسه : ص 87.

الفهرس

البسمة

الآية

شكر وعران

إهداء

قائمة المختصرات

08-02 مقدمة

الفصل التمهيدي : لمحة تاريخية وجغرافية لتيهت وبجاية

11 المبحث الأول: جغرافية و تاريخ مدينة تيهت

11 1- جغرافية مدينة تيهت

13 2- تاريخ مدينة تيهت

17 المبحث الثاني: جغرافية وتاريخ مدينة بجاية

17 1- جغرافية مدينة بجاية

20 2- تاريخ مدينة بجاية

الفصل الأول: دراسة معمارية لمدينة تيهت

26 المبحث الأول: نشأة مدينة تيهت

26 1- أصل التسمية

27 2- ظروف بناء مدينة تيهت

31	3- وصف المدينة من طرف الرحال و الجغرافيين.....
33	المبحث الثاني: التنظيم المعماري لمدينة تيهرت.....
33	1- المنشآت العسكرية.....
33	أ- المداخل (الأبواب).....
34	ب- الأسوار.....
36	ج- الحصون و القلاع.....
37	2- المنشآت الدينية.....
37	المساجد.....
40	3- المنشآت المدنية.....
40	أ- القصبه.....
41	ب- القصور.....
42	ج- الدور و المساكن.....
42	د- الدروب.....
44	هـ- الفنادق و الخانات.....
44	و- الحمامات و خزانات المياه.....
46	ي- الأسواق.....
48	4- الجانب الزخرفي لمدينة تيهرت.....
49	ملخص الفصل الأول.....

الفصل الثاني: دراسة معمارية لمدينة بجاية

50	المبحث الأول نشأة مدينة بجاية
50	1- أصل التسمية
51	2- ظروف بناء مدينة بجاية
53	3- وصف المدينة من طرف الرحالة و الجغرافيين
55	المبحث الثاني: التنظيم المعماري لمدينة بجاية
55	1- المنشآت العسكرية
55	أ- المداخل (الأبواب)
57	ب- الأسوار والأبراج
58	ج- الحصون
59	2- المنشآت الدينية
59	المساجد
62	3- المنشآت المدنية
62	أ- الأحياء
62	ب- القصور
67	ج- الأسواق
68	د- السقايات
69	4- الجانب الزخرفي لمدينة بجاية

71 ملخص الفصل الثاني

الفصل الثالث: الدور الحضاري و المعماري لمدينتي تيهرت و بجاية

73 المبحث الثالث: مدينة تيهرت حضاريا و معماريا

73 1- الجانب السياسي

74 2- الجانب الإقتصادي

74 أ- الزراعة

76 ب- الرعي

77 ج- الصناعة

78 د- التجارة الداخلية و الخارجية

79 هـ- التنظيم المالي

81 3- الجانب العلمي و الفكري

83 4- الجانب المعماري

85 المبحث الثاني: مدينة بجاية حضاريا و معماريا

86 1- الجانب السياسي

86 2- الجانب الإقتصادي

86 أ- الزراعة

87 ب- الرعي

87 ج- الصناعة

88	د- التجارة الداخلية و الخارجية
89	3- الجانب العلمي و الفكري
91	4- الجانب المعماري
94	ملخص الفصل الثالث
98-96	خاتمة
108-100	قائمة المصادر والمراجع
120-110	ملاحق

ملخص الدراسة

الملخص :

نستخلص في الاخير من خلال تقديمنا لهذا الموضوع أنّ التطور المعماري لعواصم المغرب الأوسط تيهرت و بجاية كان له دور كبير و فعّال في جميع الميادين، حيث أعطى بصمته في كل الجوانب و لم يقتصر دوره في جانب واحد فقط .. بل تعددت مجالاته مما ساهم إيجابيا في التحولات السياسية و الإقتصادية و الثقافية.

حيث بدأنا دراستنا بالحديث عن نشأة كل من المدينتين كيف تم بناءهما ، و وصفهما من طرف الرحالة الجغرافيين لنتقل الى اهم التنظيمات المعمارية التي طرأت على تيهرت و تمثلت في المنشآت الدينية و العسكرية و المدنية ثم تطرقنا الى التنظيمات المعمارية لمدينة بجاية و تجلت هي كذلك في التنظيمات العسكرية و الدينية و المدنية .

و في الأخير ختمنا حديثنا بالجانب الحضاري و المعماري لكل من تيهرت و بجاية و الدور الذي أدته في المغرب الأوسط .

الكلمات المفتاحية :

تيهرت – بجاية – العمارة – المغرب الوسط .

Abstract:

Finally, we have concluded that the architectural development of the capital of Middle Maghreb, Tehert and Bejaia, has played a major role in all aspects, and its role has not been limited to one side, social, political, economic and cultural, transformations, where we started our study by talking about the origin of both cities and how they were built, and geographers to move to the most Important architectural organization that took place in Tehert and were represented in religious, of the city of Bejaia and also manifested in the military, religious and civil organization, and in the latter we sealed our conversation with the cultural and architectural aspect of both Tehert and Bejaia and deal with the role played in the Middel Maghreb .

Keywords:

Tehert – Bejaia – Building –Middle Maghreb